غدير مُطيرة

رواية

أنين الوتَر

obeikan.com

الكتـــــــاب: أنين الوتر

المـــؤلـــــف: غدير مطيرة

تصميم الغـــلاف: شادي هشام

المراجعة اللغوية: محسن عبدالستار - مؤسسة إبداع

رقـــم الإيـــداع: 2017 / 3686

الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 159 - 5

الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

غدير مُطيرة

رواية

أنين الوتَر

obeikan.com

obeikan.com

الإهداء

إلى أبي.. الذي علمني كيف يكون إبداع القلم ضياءً علويًّا يُنير دروب الحائرين...

إلى أمي.. التي علمتني كيف يكون الحب نهرًا من العطاء لا يجف منبعه أبدًا

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

في إحدى عمارات النيل الشاهقة بعد ليلة من ليالى الشتاء الطويلة.. أصحو من النوم مفزوعة على صوت خيرية التى شهقت فى ذعر..

-يختاااااااااااي يا ست ندى... ديما بتخضينى كده... مخدتيش الحباية امبارح ولا.. .. ..

لا أسمع صوتها فقط صداه يتردد فى أذنى.. منذ أن وصلت القاهرة وأنا على هذه الحالة.. أفيق من أحلامى الشاردة المبهمة على صرخة مكتومة فاتحة عينى وفارهة حلقى إلى أقصى مداهما كأن أحدهم ينادينى بصوت يشبه البكاء.. نبضات قلبى المتلاحقة وأنفاسى المتسارعة تتذرنى بعاصفة وشيكة ليس لها من دون الله كاشفة..

-صباح الخير يا خيرية

-صباح الفل والورد يا ست هانم.. الفطور جاهز..

-لا مليش نفس.. هاتيلى فنجان قهوة أوام..

-من عنيّا.. أمل هانم اتصلت وأنا قلتلها.. .. ..

-خلاص يا خيرية.. هاكلمها.. روحى انتى جهزى الأكل عندنا ضيوف على العشا.

-حاضر يا هانم.. عن إذنك.

خيرية هذه المرأة الحديدية كما أسميها.. أنجبت ست أطفال.. زوجة عم طه البواب.. ومع تقدمها بالسن إلا أنها ما زالت تحتفظ بنشاطها وقدرتها الغير عادية على الكلام وسرد الأحداث..

أمسكت هاتفى وطلبت رقم (أمل) التى أتى صوتها بعيدا مذبوحا من البكاء..

-آلو يا أمل.. على معادنا النهرده مستنياكم انتى وعماد.. .

-كلمتك الصبح بس فخرية.. .

-معلش أنا نبهت عليها متصحنيش ولا تزعجنى بأى تليفون.. امبارح كان يوم صعب جدا عليا و..

-آه يا روح قلبى عارفة.. طيب كنت بأكلمك أقلك (ماما نهله) بقت كويسة الحمد لله ضغطها نزل.. عماد جوزى طمنى بس قلقانين عليها مش هنقدر نسيبها ونجيلك.

-ولا يهمك.. كويس إنك موجودة يا أمل خلى بالك من ماما.. يا ريت أقدر آجى وا..

-لا يا ندى أوعى.. ماما أعصابها تعبانة دلوقتى.. استنى لما تهدى وتقدر تكلمك و..

-مش هتقدر يا أمل –وهنا انفجرت ندى فى البكاء وعلا نحيبها – ماما

قالتلى أنى قتلت بابا.. مش هتسامحنى طول عمرها.. شفتى اللى حصل امبارح قدام الناس كلها.. مستحيل تسامحنى..

-اهدى.. اهدى يا ندى.. ماما بتحبك انتى قطعة من روحها.. هو فيه بعد حب الأم يا حبيبتى.. بس سيبى الأيام تقول كلمتها والوقت كفيل يصلح كل حاجة.. اصبرى وبكره ماما تكلمك وتاخدك فى حضنها زى زمان..

هدأت ندي لتستطرد أمل فى حديثها..

فاكرة لما كنا نرجع من المدرسة وآجى معاكى البيت لعند ما أمى ترجع من الشغل.. كنا نقعد جنب ماما نهله على الكنبة بعد ما تعملنا ساندوتشات ونسمع أفلام (اسماعيل ياسين)ونفضل ناكل ونضحك لعند ما ننام فى حضنها.. لما ماما منال ماتت كان حضن ماما نهله وحبها هما بيتى وعوضتنى بحنانها وقلبها الكبير عن موت ماما..

استعادة ندى نفسها لتقول فى ثبات.

-الله يرحمك يا ماما منال.. وانتى عارفه ماما عمرها ما فرقت بينك وبينى وبتحبك اوى يا أمل و..

- عارفه طبعا وعشان كده بقلك أوعى تشكى لحظه فى حب ماما نهلة ليكى مهما حصل يا ندى هى بتحبك.. لكن مصدومة وموجوعة على فراق بابا كمال الله يرحمه..

- كلنا تعبانين.. أنا أكتر واحده بتألم فيكم ومحدش حاسس بيا.. أنا.. ..

-ندى يا حبيبتى خدى الدوا بتاعك متنسيش.. وإن شاء الله هنجيلك بكره أنا وعماد بعد ما نطمن على ماما.. احنا بنثق فيكى وبنحبك أوعى تشكى فى ده.. الحب والثقة والإيمان المطلق بحب ماما وحبنا ليكى هو اللى هيطلعك من المحتة دى على خير بإذن الله.

- حاضر يا أمل.. سلميلى على عماد وخلى بالك من حسن ومنال هما أطفال وال.. .

- متقلقيش (صباح) قاعدة معاهم فى شقتنا.. صحيح خيرية عامله ايه معاكى !!

- كويسه.. رغاية شوية بس طيبة وغلبانة.

- طيب.. هاكلمك بالليل.

- أوك يا روحى مع السلامة.

أغلقت (أمل) الهاتف لتتركن (ندى) عالقة فى بحر من التساؤلات ولتفتح أمام عقلها مشاهد ولحظات بعيدة مرت على عينيها كأنها بالأمس القريب.. أحزان كثيرة تنمو فى هدوء صمتها وفى غمرة إحساسها القاتم نحو قلبها..

رمت جسدها على الأريكة وأمسكت جهاز اللاب توب الخاص بها وفتحت البريد الالكترونى لتجده فارغا إلا من رسائل التعزية.. مرت عليهم سريعا وتجاهلتهم جميعا لتبدأ فى كتابة رسالة جديدة..

عزيزى خالد

يا من علمتنى لغات الحب وأبجديات العشق وخرائط الأشواق.. أيها البعيد عن ناظرى كذكريات الطفولة البعيدة، أيها القريب كأنفاسى وأفكارى.. يا من صارعت لأجله تقاليد الشرق وعادات الغرب، وخضت مع الأيام معارك أبدية المساء.. أكتب إليك الآن بعد انهيار آكام من الآلام على عاتقى.. بعد هتك حجب الأماني العذراء والأحلام الورديةً.. بعد عذاب وألم وخوف من كل شىء.. أحتاج أن أدفن ضعفي بأحضانك الخضراء وأرتوي قوة من عينيك الحالمتين.. أين اختفيت.. أرجوك لا تقتلني مرتين.. ما أبطأ النبضات في قلب يذوب.

يقولون إنك مصدر ضعفي وألمي وحزني.. كيف أصدقهم والحب قوة.. لم أقع فى حبك.. أنا مؤمنة بالحب؛ مشيت إليه بخطى ثابتة.. أردتك بكامل وعيى.. لا أدرى إن كنت أم كانوا هم على صواب أو خطأ.. لكننى أعرف يقينا إنى أحبك وأن الحب لا ينمو إلا فى النفوس الراضية المؤمنة بالقضاء والقدر.. أرجوك يا خالد ! إن كنت ترانى لا أستحق هذا العذاب اكتب لى ولو كلمة واحدة تخمد لهيب آلامى وأحزانى وتبعث فى جسدى روح أمل جديد أقتات به على مرارة الأيام ولوعة الخيبات، وإن كنت ترى أننى أستحق اللعنة وأننى سبب كل ما حدث ،فاكتب لى أيضا.. إياك والصمت فإنه يخلق حاجزا لا أقوى على تحمله بين جنبات أضلعى الواهنة.. لو كان الحب جريمتى فهو ذنبى الذى لا أستطيع التوبة عنه.. أعلم أنى استنفدت رصيدى من الدعوات لكنى سأدعو الله أن يعيننى على تحمل عواقب ذنوبى

وآثامى، وأن يغفر لى بكرمه وعفوه.. فرحمة السماء أعظم من توقعات البشر المحدودة.. وإيمانى بحبك لا يتغير فى أى مكان وزمان.. المحبة لك دائما ندى !

أغلقت الجهاز ووضعته على الوسادة الحزينة وتنقلت فى أرجاء غرفتى مترنحة بجسدى على مهل اتجهت إلى النافذة وأزحت ستائرها المسدلة ليطل من خلفها النيل شامخا كعادته فى هدوء.. للقاهرة ونيلها روح لا يدركها إلا أهلها ومن أحبها.. هواؤها عطر من ياسمين وزكرياتها لوحات منقوشة من ذهب فى معرض الأيام.. الشمس بدورها تزيح سحابة تشرق من خلفها.. ترسل أشعتها الصارمة دفعة واحدة.. فأغمض عينىَّ لأتفادى ضوءها الوقح.. لماذا تتحداني؟ لماذا تلومني؟؟ تذكرني بضعفي وقلة حيلتي.. تتهمنى وتعاقبني على ذنب لم ترتكبه يداي بل ساقته الأقدار..

أيها النيل العظيم.. الساكن كمدينة لم تعرف الهزائم.. الهادئ كرضيع نقى.. الفارس كقائد معركة أسطورية.. أرجوك لا تتسرع بالحكم علىِ.. لا تجعل الشمس بقوتها الزائفه تمحى حقيقتى فى عينيك مثلهم بعدما تخلى عنى أهلى ونبذنى مجتمعى وأدانني الناس.. دعنى أقص عليك حكايتى وتعال معى عشر سنين إلى الوراء.. لعلك تجد من ماضى ما يشفع لى عندك أمام محكمة السماء.. ..

* * *

حدائق المعادى شارع حسنين الدسوقى أكتوبر٢٠٠٦

obeikan.com

يرن جرس الهاتف –كم هو ملحاح وأبله ذاك الجرس اللعين–.. .تصحو ندى عشرين عاما مرتدية بيجاما ذات لون رمادى كعينيها اللامعتين ببريقهما الرائع.. بشرتها البيضاء هادئة وهانئة.. وخصلات شعرها البنية الداكنة الكثيفة تتناثر على كتفيها وعنقها الطويل يحاول أن يبقى مرفوعا من أثر النعاس..

–يووووووووه يا ماما ماتردى على التليفون.. تخرج ندى من غرفتها لتجد والدها جالسا فى الصاله منهمكا فى قراءة الجريدة الصباحية كعادته وعندما أحس بوجودها التفت إليها بوجهه الدافئ الحنون مرحبا :

– صباح الخير يا ندى.. ماما عند عمك كريم راحت تطمن على منال اصلها بعافية شوية.

–طنت منال تعبانة مالها !!

–متقلقيش شوية دوخه الدكتور طلب نعمل تحاليل وأشعة وطمنا الحمد لله

–الحمد لله.. عن إذنك يا بابا هادخل البس يدوب اتأخرت جدا..

ابتسم لها والدها وأومأ برأسه لتبتعد ندى تاركة له المجال ليكمل قراءته.. ندى فتاة ناضجة منذ كانت طفلة.. لم ينسى عندما جاءت إليه تطلب منه أن يشترى لها آلة الكمان لتتعلم العزف عليها فى عيد ميلادها العاشر.. لم يكن يعلم أن تصبح الموسيقى عالمها الخاص وأن يوافق على دراستها فى المعهد العالى للموسيقى فى حى الأهرام بالجيزة على الرغم من رفض والدتها نهلة لتفرغ ابنتها للعزف.. كانت لا تريد أن تسيطر الموسيقى على

حياة طفلتها الوحيدة لكن أمام إصرار ندى وعنادها لم يستطع إلا أن يلبى رغبة ابنته فى تحقيق حلمها.. خلع الدكتور كمال النعمانى -أستاذ الكيمياء العضوية فى كلية العلوم جامعة القاهرة – نظارته واستدار بكرسيه الجلدى الوثير إلى النافذة الكبيرة.. وبلا وعى خرجت من صدره آهة كبيرة.. تذكر أياما وأعواما بعيدة.. كم كان عمره آنذاك !! كان فى الثانية والأربعين وكانت نهلة فى الأربعين من عمرها.. يئسا من إنجاب طفل وتعبا من كثرة التحاليل والأدوية وكرها كل أطباء النساء والتوليد والعقم ،وقررا أن يغلقا هذا الباب إلى الأبد.. كان قويا صامدا رغم انكساره الكبير إلا أنه ظل يحب نهلة ويدللها كأنها طفلته ، وظلت هى قانعة صامتة لا تبالى برغبتها الدفينة فى أن تصبح أما وفضلت كبح مشاعر الأمومة بداخلها.. ولم ينسا كيف كان جارهما كريم المنوفى وزوجته منال وطفلتهما الجميلة أمل يسريان عن نفسيهما ويملأن حياتهما البسيطة فرحة وبهجة بصوت عصفورتهما المغردة.. حتى كان هذا الصباح عندما داخت نهلة أثناء عودتها من البنك لتأخذها منال إلى الطبيب ليزف لهما أجمل بشرى ينتظرها أى زوجين.. نهلة حامل.. بعد كل هذه السنوات.. حدثت المعجزة.. برغم أنهم يقولون ولَى زمن المعجزات.. وجاءت ندى تلك اليمامة الصغيرة التى حملها على ذراعيه لأول مرة.. ملاك حياتهم وقطرة الندى التى سقطت من شجرة الحياة وإكسير الخلود فى الجنة لتروى ظمأ أرواحهم المنهكة بعد طول المسير..

لم ينس كمال أبدا كيف كان قلبه ينتفض شوقا إلى الدفء الذى ملأت به

ندى البيت.. لم تكن أبدا تثير المشاكل بل لم تكن حتى فى حركة الأطفال وضجيجهم.. كملاك صغير يتلألأ وجهه بالرضا والحنان.. لم ينس كيف كانت تنتفض خوفا وبردا فى ليالى الشتاء وتطرق باب غرفتهما لتستأذن أن تنام معهما، فقد كان صوت الرعد يخيفها، وضوء البرق يزعجها.. فتأخذها نهلة إلى ذراعيها فتنام فى لحظات طفلة ناعمة هادئة.. كانت دوما ابنة مطيعة حنون متدفقة المشاعر والأحاسيس.. إنها هدية السماء..

ظل الدكتور كمال غارقا فى ذكرياته حتى أعادته ندى إلى وعيه وهى تضع قبلة على جبينه وتستأذنه بالانصراف إلى المعهد..

- ايه الحلاوة دى كلها صحيح طالعه لبابا حبيبة البابا..

- كويس إن ماما مش هنا مكناش سلمنا منها هههههه

- خدى الفلوس دى خليها معاكى ومتنسيش تعدى على أمل وتطمنى على مامتها

ترددت ندى فى أخذها ثم التقطتها فى استحياء ،وشكرت والدها ،وأودعت جبينه قبلة أخرى سريعة ،وتركته مسرعة لتنزل درجات السلم على عجل إلى الطابق الثانى حيث يسكن عم كريم وعائلته.. فتتفاجأ بوجود شخص خلف الدرج يظهر أمامها دون إنذار فشهقت بصوت عال، وسارعت الفتاة ووضعت يدها على فمها لتمنعها من الصراخ.. .

- أوف أووف يا أسماء.. إيه اللى مقعدك هنا بتعملى إيه يا غبية.. خضتينى!!

- وطى صوتك يا ندى عمو كمال هيسمعك و.. .

-ولو انتى يهمك عمو كمال ولا حد من الجيران ايه اللى مقعدك كده !!!

أطرقت أسماء بوجهها إلى الأرض معبرة عن اعترافها بغلطتها وندمها.. هدأت ندى ونظرت إلى صديقتها نظرة لوم وعتاب متسائلة عن سبب قدومها.. فرفعت الأخرى عينيها لتنظر إلى أعلى السلم.. فى حين شهقت ندى ثانية فى غضب جم قائلة :

-تانى يا أسماء طالعه عشان الواد اللى ساكن فى الدور اللى فوق.. طب ومامته ؟ حسام عايش لوحده مع طنت حكمت وما أدراكى ما طنت حكمت..

-يا ندى مش طالعاله أنا بس هقابله على السلم بحجة إن أنا جايه أزورك.. هو نازل دلوقتى رايح الشغل و..

-وهتستفادى إيه ؟ وهو سى زفت متقدملكيش ليه زى ما وعدك !!! مش اتخرج الحمد لله وعمو كريم جابله شغل كمان.. مستنى إيه بقه ! بصى مش فايقه ليكى دلوقتى بس لينا قعدة لما أرجع نتجمع عند أمل.. هأمشى عشان إتأخرت.. صحيح طنت منال تعبانه شويه وماما عندها وهاعدى عليهم دلوقتى.

-الف سلامه.. خلاص هاجى أنا وماما وأشوفك عند أمل.

-اتفقنا.. سلام وخلى بالك حد يشوفك.

-سلام وسلميلى على أمل لما أجيلها.

* * *

تجلس نهلة على حافة السرير بجانب منال التى أراحت جسدها ممددا.. ساندة رأسها على كتف أمل ابنتها العروس التى تخرجت العام الماضى من كلية الصيدلة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف وشرعت فى دراسة دبلومة الصيدلة الإكلينيكية.. وتعمل حاليا فى صيدلية الدكتورة حنان آخر الشارع.. لكم هى فخوره بابنتها تود لو فى العمر بقية لتراها عروسا جميلة وتسلمها إلى يد زوج يصونها ويتقى الله فيها.. تفيق من شرودها وأفكارها على صوت نهلة الحانى تعاتبها ممازحة :

-جرى إيه يا منال.. سرحانه فى إيه.. أقوم أمشى يعنى..

تبتسم أمل فى حين تساعد والدتها على الجلوس وتحاول منال الرد على صديقتها وأختها الكبرى وجارتها ورفيقة عمرها :

- تعبناكى معانا يا نهله.. سايبه بيتك من الفجر وقاعده معايا.. معلش قلقناكم ع الصبح كده..

- عيب يا منال تقولى الكلام ده احنا مش عشرة سنين احناعشرة عمر بحاله.. سيبيكى من الكلام الخايب ده وقومى اشربى شربة الخضار اللى عملتها أمل.. لازم عشان.. .

يرن جرس الباب وتخرج أمل لتجد ندى التى تدخل البيت على عجل وعلى وجهها علامات القلق والحيرة :

- طنت منال عامله ايه دلوقتى !! مالها ؟ ايه حصل !!!

- دى ندى يا طنت نهلة.. متخافيش يا ندى ماما كويسه الحمد لله اتحسنت

كتير.. الحمد لله ادعيلها.. الدكتور طلب تحاليل هنعملها وقال خير.. أنا نفسى مش فاهمه.. خايفة أوى يا ندى ماما يجرالها حاجه وتـ.. .

– لا أوعى تقوليها بعد الشر عليها.. ربنا يخليهالنا.. لازم تكونى قوية يا أمل عشان عمو كريم ومامتك ميشفوش الخوف والضعف اللى فى عنيكى ده عشانهم.. دا حقهم عليكى واحنا كلنا جنبك.. هادخل أطمن عليها..

تركت ندى صديقتها وهى تحاول تجفيف دموعها واستعادة رباطة جأشها.. ودخلت غرفة والدتها لتتفاجأ بها نائمة وقد غارت عيناها وذهب بريقهما وكسا وجهها الشاحب صفرة مريضة.. ثم انتقلت بعينيها إلى وجه نهلة لتجده حزينا واجما تحاول عبثا الابتسامه.. وعادت إلى منال كاتمة آهات الحزن التى سرت فى عروقها منذ دخولها الغرفة.. و لاحت على شفتيها طيف ابتسامة خفيفة.. فقالت متظاهرة بالمرح :

ألف سلامة عليكى يا طنت منال.. يا سلام يا ست ماما سيبانى وقاعده مع طنت بتساعديها تتدلع علينا أكتر.. إيه شوية دوخة وهيروحوا لحالهم.. بابا قالى الدكتور طمنه جدا والتحاليل دى عشان نتأكد ونطمن أكتر..

تظاهرت نهلة بأنها ترمى الوسادة على ندى مازحة: بس يا بت بطلى لماضة هو فيه واحدة بتدلع قدك..

قالت منال : سيبى ندى على راحتها.. مش هتبطلى البكش ده.. إمتى أفرح بيكى إنتى وأمل خايفة أموت يا نهلة قبل ما أشوف اليوم ده.. البنات أمانة فى رقبتك..

قاطعتها نهلة فى حزم وغضب عارمين : أرجوكى يا منال كفاية كلامك اللى بينرفز ده لو مش عشانى يبقى عشان أمل.. البنت تعبانه ،وهتموت من القلق عليكى.. مش شوية دوخة على رأى ندى يعملوا فيكى كده.. هتاخدى العلاج وتخفى وتعيشى وتجوزى البنات وتفرحى بعيالهم كمان..

نظرت منال إلى نهلة نظرة طويلة يائسة بائسة لتعطيها الجواب على كلامها وتؤكد خوف نهلة وهلعها.. لم يقطع هذا الصمت إلا دخول أمل الغرفة بعد أن ارتدت ملابسها.. تعلقت عيونهم جميعا على أناقتها وجمالها.. كانت ترتدى جوب أسود طويل وقميص وردى أدخلته برفق داخل حزام الجوب اللامع ليبرز جمال خصرها الضيق واستدارة صدرها المكتنز وعلى رأسها تضع بونيه لونه وردى.. عيناها الواسعتان البنيتان تلمعان فى ثقة ،وفمها الصغير ملون بلون أحمر وردى لون خدودها النضرة الممتلئة..

-ماما أنا نازله الشغل مفيش داعى أقعد وطنت نهلة معاكى هاغيب أربع ساعات بس وانتى كويسه الحمد لله اتطمنا عليكى.. يلا بينا يا ندى..

قبلت الفتاتان والدتيهما وودعتهما فى حنان.. ونزلا السلم مسرعين إلى الخارج.. الشارع هادئ.. أخبرنى أبى أن هذا الحى أنشئ بعد خمسينات القرن الماضى.. كان فى البداية عبارة عن أراضٍ زراعية.. وفى أواخر السبعينأت بدأ الزحف العمرانى عليها.. لذلك أهله يجمعهم الود والبساطة والأصالة و لحينا نكهة خاصة تراها واضحة فى وجوه الناس وفى عيون الأطفال وتفاصيل الأزقة والشوارع والمحلات..

وعلى ناصية الشارع لاحت الخالة فاطمة وابنتها داليا..

صباح الخير يا بنات.. قالت الخالة فاطمة فى حنان.

-صباح النور يا خالة فاطمة.. ردت الفتاتان.

-إذيك يا ندى ماما فى البيت ؟ رايحة أوديلها التابير بتاعها معلش إتاخرت بس عنيا يبنتى مبقتش زى الأول.

-ألف سلامة عليكى ولا يهمك بس ماما عند طنت منال أصلها تعبانة شوية و..

-ألف سلامة يا أمل على مامتك.. خلاص هنروح على بيت الأستاذ كريم ونطمن على خالتك منال يا داليا..

-إذيك يا أبلة داليا !! قالتها ندى فى ود كبير..

-كويسه ومش لازم أبلة هما الكام سنة دول اللى يخلوكوا تقلولى أبلة !!... قالتها داليا فى قسوة وتعجرف واضحين لتغمزها أمها وتلتفت معتذرة إلى ندى التى احمرت وجنتاها خجلا من رد داليا العنيف برغم أنها لم تقصد إغضابها.. فابتسمت للخالة فاطمة واستأذنت أمل بالانصراف ليسمعا داليا تغمغم بكلام غير مفهوم.. ثم صاحت: ستات تافهه.. شوية دوخة يقعدوها فى السرير.. لتنهرها أمها من جديد فتلزم الصمت، وينصرف الجميع.

فالتفتت ندى وعلى وجهها إمارات الضيق :

-متزعليش يا أمل من كلام داليا هيا قلبها طيب بس لسانها متبرى منها..

-لا خالص بالعكس أنا اللى بقلك متزعليش من قسوتها وكلامها الجامد معاكى

-عادى.. اتعودت.. معرفش زعلت ليه من كلمة (أبلة) هيا مش بتشتغل مدرسة اقتصاد منزلى فمدرسة الحى الإعدادية.. وأكبر منى باتناشر سنة أمال أقلها إيه !!!

-كلمة (أبلة) بتحسسها إنها كبرت عننا وموضوع عدم جوازها لعند دلوقتى أكيد مأثر على نفسيتها.. بلاش تقليلها يا أبله.. أقلك بلاش تقليلها حاجه خالص.. كده كده مش طايقاكى..

-و متطقنيش ليه ؟

- ناسية (محمود)أخوها اللى انتى مجننناه وهو الضاااكتووور محمووود – تحاول تقليد صوت الخالة فاطمة – هههههههههههه..

-هههههههه لا والله منا كمان أشطر عازفة كمان فى مصر والعاااالم كله مش أقل من سى محمود بتاعهم وبعدين هو لسه متخرجش فاضل سنة..

-هههه يختى اتيلى وسيبيكى من أحلام اليقظة هولاقى شغل الأول.. وع فكرة محمود دكتور الشارع كله من يوم ما دخل كلية الطب أحيانا بأشفق عليه..

-هههههههههه بكره تشوفى.. بس أسافر فرنسا وهناك أدرس فى

obeikan.com

الكونسيرفتوار دو باريس وأعزف قدام جمهور كبير.. وقدامى صحفيين كتير يتسابقوا يعملوا لقاء معايا..

-امممممم وإيه كمان !!

-على فكرة انتى رخمة و... اووووف نسيت.

-فيه ايه ؟

-محمود مستنينى فى محطة المترو معادنا من نص ساعة..

-طب اجرى يلا سلام متتأخريش وخلى بالك من نفسك.

تترك ندى صديقتها أمام الصيدلية لتدخل أمل إلى عملها.. بينما تسارع ندى خطاها لتصل إلى المترو حيث وجدت محمود ما زال ينتظرها.. محمود صديق طفولتها وفارس أحلامها والرجل الثانى فى حياتها بعد أبيها.. تراه يقف أمامها على بعد أمتار منها بقامته الطويلة وجسده الممشوق وذقنه البسيطة وفمه الصغير وأنفه المستقيم وحاجبيه الكثيفين وعينيه الخضراوين ورموشهما الطويلة وجفونه المتورمة من أثر الدراسة والسهر.. عيناها معلقة به ترصدانه من بعيد حتى التفت ناحيتها ورآها فلمعت عيناه مع ضوء الشمس.. حاول أن يقطب حاجبيه متظاهرا بالغضب لتأخيرها لكن سرعان ما تلاشت تلك النظرة ليستبدلها بابتسامة خفيفه عندما تلاقت عيناهما.. هى لم تعرف أحدا غيره لم تسمح لأحد بدخول حديقتها السرية ومعرفة ملامح كوكبها البسيط سواه.. إنه محمود.. حقا هى تحبه.

الفصل الثانى

نظر محمود إلى ساعة يده لتعلن عقاربها منتصف الساعة التاسعة وتأخر ندى عن معادهما بنصف ساعة، بدأ القلق يتسرب إلى أعماقه.. تُرى لماذا تأخرت على غير عادتها !! لطالما كانت ملتزمة فى مواعيدها معه منذ طفولتهم البعيدة.. هو يتذكر الآن كيف رآها لأول مرة فى بيت عمه كمال عندما اصطحبته أمه راجية أن يقبل الدكتور كمال مساعدة ابنها اليتيم فى مادة العلوم بينما كان لا يزال طالبا فى المرحلة الإعدادية.. وافق أبوها على تعليمه مرحبا ومشجعا له.. وبعدها كان كثير التردد على منزلهم يتلقى من علم والدها وتربيته له ما ساعده على تكوين شخصيته فطالما أعد الدكتور كمال والده.. وفى يوم العيد كان أطفال الحى يعايرونه بأمه لأنها خياطة.. ويغارون منه لتفوقه الدراسى عليهم، فلطالما ذكرته امهاتهم لحثهم على ان يكونوا مثله، فأخذوا يفتعلون اللعب والجرى حتى يصطدموا به ويوقعوه أرضا مدّعين أنه على غير قصد منهم.. لكن هذه المره كانت الضربة قوية أوقعته أرضا بقوة وأصابت رأسه بجرح غائر جعل الدم ينزف من رأسه بغزارة.. فخاف الأولاد وتركوه وجروا بعيدا بينما لاحت تلك اليمامة الصغيرة لتجرى نحوه وتقترب من رأسه وتمسحها بمنديلها الصغير ثم لحق بها صاحباتها الثلاثة فتولت إحداهن مهمة إخبار أمه

التى بدورها جاءت على عجل وضمته إليها وأسرعت فى أخذه إلى منزلهم وهى تتوعد أولاد الحى بضربهم ونسيت أن تشكر الطفلة الصغيرة ولكن لم تنساها عيناه حتى غاب عنها.. فى اليوم التالى فتحت أخته الباب لتجد ندى ممسكة بورود صغيرة فى يدها الرقيقة.. فنهضت أمه واستقبلتها بترحيب كبير.. وقدمت ندى له الورود متمنية له الشفاء.. كان ينظر إليها بعينيٍ قلبه الصغير فتدق أجراسه على عجل لتعلن ميلاد حب جديد.. عرض عليها مساعدتها فى مادة الرياضيات التى تشكو منها ففرحت ونظرت بعينيها الملونتين وابتسمت حتى ظهرت أسنانها البيضاء المتراصة فى نسق جميل حتى آخرها.. وقبل أن تذهب من بيتهم أودعته قبلة طفولية على جبينه الوضىء، واندفعت خجلة مسرعة إلى منزلها..

أراها الآن مقبلة نحوى من بعيد تتهادى بدلال فى مشيتها المسرعة لتدخل المحطة ويلتفت إليها كل من رآها.. هذه اليمامة التى تنير بحضورها الانثوى كل القلوب.. أراها ترتدى بنطلونا من الجينز الغامق يعلوه بلوزة بيضاء كقلبها الصغير وعلى كتفيها تناثرت خصلات شعرها اللامعه تحت أشعة الشمس فاقتربت منى وعلى وجهها ابتسامتها الكبيرة المعتادة قائلة :

-سورى يا دكتور ع التأخير بس طنت منال تعبت وماما عندها واضطريت اروحلهم أعدى عليهم أطمن.. وعد مش هتحصل تانى وعد اتفقنا

نظر محمود اليها رافعا حاجبه الأيمن ليقول لها ممازحا :

-ماشى نعديها المرادى عشان أبلة منال.. هيا عامله ايه دلوقتى ؟

-الحمد لله بس مطلوب نعمل تحاليل وهنطمن أكتر.

-ربنا يشفيها.. ان شاء الله خير.

-يارب.. يلا بيننا هنتأخر.

غاب الاثنان داخل حشود الناس الغفيرة داخل محطة المترو.

* * *

قاربت داليا وأمها على الوصول إلى عمارة الدكتور كمال التهامى التى توجد بها أيضا شقة كريم بك وزوجته منال.. فصاحت داليا فى غضب :

مش عارفة جايبانى معاكى ليه.. مالى أنا بالناس دى.

- عيب يبنتى وطى صوتك الست عيانه وهنزورها. عاوزانى افضل سيباكى حابسه نفسك فى البيت.. ارحمينى يا داليا.. طولة لسانك دى بتزعل الناس منك.. لولا انك بنتى وعارفه قلبك أطيب قلب فى الدنيا.

- أمى ! أنا هاطلع معاكى لكن لو جبتى سيرة الجواز معاهم والله مش خارجة معاكى تانى أبدا.

- ليه كده يا داليا هو مش دى سنة الحياة ولا انتى أول ولا آخر واحدة تتأخر فى الجواز ده نصيب و..

- أمى !!!

- تمام يبنتى.. وصلنا أهوه وهاسكت خالص.

تدق الخالة فاطمة الجرس لتفتح لها نهلة وترحب بهما.

* * *

دخل محمود ممسكا بيد ندى قطار المترو خط رقم١ حتى محطة ناصر ثم ركبا ميكروباص صغير أوصلهما إلى شارع ٢٦ يوليو ومنه افترق الاثنان لتذهب ندى إلى الأوبرا فى الزمالك.. ذلك الحلم الجميل الذى توج قائمة أحلامها البسيطة فى أن تدرس الموسيقى وتتعلم عزف الكمان منذ كانت طفلة فى العاشرة من عمرها.. إلى دخولها المعهد والتحاقها بأوركسترا أوبرا القاهرة والعمل بالأوبرا.. لكنها لم تكف عن مواصلة أحلامها فى أن تكمل دراستها فى فرنسا فى الكونسيرفتوار Conservatoire de Paris والعزف فى أوبرا باستيل Opera de Bastille أوبرا غارنييه Palais de Garnier ذات البهو الواسع .. بالرغم من رفض والديها المستمر لفكرة السفر.إلا أنها كعادتها فى صميمها قررت بألا تتنازل عن حلمها..

جلست ندى فى مكانها المعتاد بعد أن صافحت زملاءها فى ود كبير.. فهى زهرة المكان كما يسميها كل من عرفها.. وتحت تعليمات دكتور سليم المهدى بدأت الفرقة الموسيقية فى عزف مقطوعة للموسيقار عمر خيرت ثم تدربوا على سيمفونية The Secret Love للعازف اليونانى (نيكوس) كانت تحبها كثيرا لما تتميز به من إحساس كبير ومدهش..

تتمتع ندى فى العزف بمهارة عجيبة جعلت كل أساتذتها يعجبون بعزفها..

لا تدرى كيف يحدث ذلك لكن عنما تمسك قوس الكمان وتعزف على أوتار الكمنجة المشدودة تحس بقوة مدمرة تجتاح روحها.. شىء ما فى سحر آلتها ينقلها إلى زمن آخر إلى عوالم بعيدة تعبر لها بروحها فينساب عزفها على القلوب سلسالا صافيا كانسياب قطرة الندى على أوراق زهرة عطشى ذابلة فتبث فيها سر الحياة وتغدو زهرة مشرقة..

* * *

يجلس الدكتور كمال على قهوة الحى مستطردا فى الحديث مع صديقه كريم بك الذى غدا مهموما بمرض زوجته وخوفه عليها ،ويمرعليهم جارهم جمال بطرس صاحب محل مجوهرات الذهب على ناصية الشارع.. جلسوا يتبادلون أطراف الحديث وناقشوا مشكلات البلد والوضع الاقتصادى ونشاط حركة كفاية ،والقبض على أعضائها ،وسياسة الرئيس مبارك ما بين مؤيد ومعارض ،والخوف من ظهور جماعات متطرفة تثير الشباب الحانق على وضعه وتستغلهم.. ثم جاء الشيخ ربيع مختار صاحب السوبر ماركت ليجلس معهم ويطلب كوبا من الشاى، فيأتى الحج سليمان صاحب القهوة ليحمد صحبتهم ،ويتناولون زكريات الحى وتغيره خلال السنوات الأخيرة.

* * *

أنهى محمود يومه الدراسى فى كلية الطب بجامعة عين شمس ليستقل الأتوبيس ،ثم أخذ تاكسى ليتجه إلى ٢٣ شارع أبو الفدا فى الزمالك حيث

كافيه جريزلى، فقد اتفق مع ندى أن يتقابلا فى حلول الساعة الرابعة عصرا ليتناولا الغداء.. فهى تحب البيرجر كثيرا واليوم أخذ مصروفه الشهرى من أمه ولا ضرر فى بعض التبزير البسيط وألا يبخل على ندى ببعض النقود ،فنظرة الفرح فى عينيها ومراقبتها وهى تلتهم الساندوتش فى نهم كطفلة صغيرة مدللة يجعله لا يشعر بالندم كثيرا.. جاءت ندى على الموعد وجلسا فى ركن هادئ يتناولان الغداء ويحكيان لبعضهما كيف مر يومهما.. ثم غادرا المكان ورجعا صوب الحى.

عند وصولهم بداية الشارع قابلتهم ميرال صديقة ندى التى تدرس الإعلام فى سنتها الأخيرة.. كانت فى طريقها إلى منزل العم كريم مع والدتها الخالة (يوستينا).. فودعت ندى محمود الذى أشار بيده من بعيد إليهم فرفعت ميرال يدها لترد له السلام واكتفت والدتها بابتسامة بشوشة.. وأقبلت عليهم ندى تحييهم بود كبير ،وأخبرتها ميرال أن الدكتور كمال أخبر والدها بمرض زوجة عم كريم فجاءوا ليطمئنوا عليها وفى طريقهم سألوها عن حالة منال وصحتها حتى وصلوا إلى باب العمارة..

* * *

فى بيت منال اجتمعت امل وأسماء فى غرفة أمل وانضمت إليهما لاحقا ندى وميرال تاركين أمهاتهم فى غرفة الصالون.. تظاهرت ندى بالغضب من أسماء ولم تسلم عليها ،وساد الصمت لحظات حتى قاطعته الأخيرة صائحة :

-مالك يا ندى مقموصة ليه أمال لو مكنتش أكبر منك بسنتين و..

توجه ندى كلامها إلى أمل :

بصى يا أمل لولا طنت منال عيانة كنت زعقت للبت دى ورديت عليها كويس لكن احتراما ليكى هاسكت.. وانتى يا أسماء متكلمنيش لعند ما تقطعى علاقتك باللى اسمه حسام ده خالص.. ولا احكى ل أمل اللى عملتيه الصبح ع السلم.

- اهددى بس يا ندى.. قالتها أمل وهى تنظر إلى أسماء بنظرة لوم وعتاب.

فقالت ميرال : وطوا صوتكم شوية.. ندى خايفه عليكى يا أسماء متزعليش منها.

أطرقت أسماء بنظرها إلى الأرض وهى تغمغم بكلمات غير مفهمومة لم تستطع نطقها.. فكم مرة قالتها.. كم مره حلفت لهم بأن حسام سيتقدم لطلب يدها الجمعة المقبلة ! كم مرة خذلها أمامهم ! كان يتحجج بأنه ما زال طالبا فى كلية التجارة وانتظرته حتى أتمها.. وبعدها ظل يشكو لها أنه عاطل ولا يجد وظيفة مناسبة.. فتوسطت له عند أمل لتجعل والدها يوظفه فى الشركة التى يعمل لها مستشارا قانونيا ومحاسبا ماليا.. لكن بعد استلامه الوظيفه.. تغير فى معاملتها وبدأ يتهرب منها فاضطرت إلى انتظاره هذا الصباح أثناء خروجه للعمل حتى تفهم منه سبب انشغاله عنها.. لكنه عاملها بأسلوب جاف ،وادعى أنه مشغول فى عمله الجديد لم يعد لديه الوقت ليضيعه معها.. الآن أصبح حديثها ثرثرة وضياع لوقته

obeikan.com

الثمين بعد ما كان ينتظرها بالساعات حتى يحظى برؤيتها ولو لدقيقة واحدة ،فيظل يسمعها كلام الحب الذى يسكن قلبها ،ويغمرها بالحنان والدفء اللذى تفتقده فى بيتها مع أبيها الصارم وأمها السلبية ضعيفة الشخصية واخيها الأصغر الذى يهينها دائما ويعاملها كخادمة له مثلما يعامل أبوهم امهم.. لقد وجدت كل ما تفتقده فى حسام.. ذلك الشاب الرزين الواثق فى نفسه.. فتى أحلامها بل وحلمها الوحيد وفرصتها للتخلص من منزل والدها وحياتها المضطربة بداخله..

تنهض أمل لتدعو أسماء للذهاب معها للمطبخ لتحضير القهوة لتهدئ من التوتر المتصاعد فى أرجاء الغرفة.. تأخذ ندى نفسا عميقا ،فهى تكره ضعف أسماء وتعلم جيدا كيف يستغلها ذلك الأحمق.. فتنتبه من تفكيرها لتجد ميرال وقد طال شرودها.. تقطع صمتها قائلة : مالك يا ميرال النهرده !! أوعى تكونى لسه بتفكرى ف.. .

-لا، خلاص يا ندى يا حبيبتى.. بس غصب عنى باشوفه واحنا جايين النهرده من السوق قابلنا عم محمود وماما كلمته عشان يروح ل بابا البيت.. وشفت أحمد ابنه.. .

-أوعى يا ميرال أوعى تسيبى نفسك.. مش بس عشان هو مسلم وانتى مسيحية.. انتى أكبر منه بسنتين.. غير الفروق المادية والاجتماعيه طنت يوستينا مستحيل تجوزك لابن الحلاق.. وكمان أهل أحمد لو طلبوا تتخلى عن ديانتك و..

-لا طبعا أنا مؤمنة بالرب ودخولى الإسلام عشان أتجوز ده نفاق مع ربنا.. بس مشاعرى ناحية احمد بتزيد مع الوقت.. هو بييجى ياخد منى الكتب والمحاضرات ويطلب منى أساعده وأشرحله و.. .

-انتى لازم تبعدى عنه.. اتحججى واهربى.. أنا كل خوفى إن الوهم والمشاعر اللى جواكى تتنقل ليه ووقتها تكون المشكلة كبرت..

-أنا فعلا بدأت أعمل كده وهو مستغرب تصرفاتى وبيحاول يعتذر ويعرف هو دايقنى فايه ؟ وأنا مبقدرش أرد..

-معلش فترة وهتنسى وهتتعودى.

-تفتكرى يا ندى!!!... آه صحيح كنتى راجعه مع محمود النهرده كالعاده بس متأخرين ليه ؟

-كان عازمنى ع النهرده على الغدا... محمود بيحبنى جدا بيعمل كل اللى يقدرعليه عشان يسعدنى.. من أول ما كبرت وهو جنبى متخيلش حياتى من غيره.. هو ده الحب يا ميرال.

-لا طبعا طب مانا متخيلش حياتى من غير اللاب توب بتاعى وانتى متتخيليش حياتك من غير الكمان.. انتى قلتيها كبرتى لقيتيه جنبك هو اللى بيحبك أما انتى فعمرك ما حبتيه ولا لسه قابلتى الحب..

تدخل أمل وأسماء ومعهم صينية البسكويت والقهوه ليسمعا حديث (ميرال) عن محمود فتهب فيها (أمل) :

-لا بقه محمود ده حاجه تانيه.. ربنا يرزقنى بواحد زيه وأنا أعمل عزومة ليكم يا بنات وأعملكم الاكل اللى بتحبوه و.. .

-هتعمليلى مكرونة بالبشاميل.. قالت أسماء، وتبعتها ندى :

-عاوزة طاجن بطاطس بالفراخ فى الفرن

-وانا كيك الباستافلورا بالشوكولاته اللى عملتيها يوم عيد ميلاد ندى.. قالت ميرال.

فصاحت فيهم (أمل): بسسسسسس أنا غلطت لما صاحبتكم أساسا.. هافكر جديا أقطع علاقتى بيكم .

فتتعالى صوت ضحكات الفتيات الأربعة

* * *

وفى آخر الشارع تسكن السيدة فاطمة متولى فى بيت متهالك بسيط.. توفى زوجها وهى فى أول عقدها الرابع فاشتغلت بالخياطة والتتريز وساعدها أهل الحى وعكفت على تربية ولديها.. داليا الكبرى التى تعمل مدرسة فى المرحلة الإبتدائية، ومحمود طالب فى السنة الأخيرة من كلية الطب البشرى ،وأوشك على التخرج بعد شهور معدوده ليتحقق حلمها ورغبتها فى أن يكون ولدها طبيبا ناجحا ومشهورا.. وكعادة كل صباح يتجمعون حول المنضدة الصغيرة ليتناولوا فطورهم ويتبادلوا أطراف الحديث ،ومابين شخصية محمود المرحة إلى جدية داليا تقضى الأم برفقتهم أحلى أوقاتها

وأسعدها، ثم ينتهيان من فطورهم ويقبلا رأسها ويديها ويودعانها ،وهى تراقب ذهابهم ،وترفع عينيها نحو السماء تدعو لمحمود تارة ولداليا تارة أخرى بأن يرزقها زوجا صالحا يملأ حياتها فرحة وبهجة حتى يغيب طفلاها الكبيران عن ناظريها فتهم بالعودة إلى عملها وتنظيف منزلها بهمة ونشاط.

* * *

ذهب الشتاء سريعا ليأتى الربيع محملا بروائح الأزهار العطرة وربما كانت هناك رائحة غريبة ينتفض لها قلب ندى وحده لكنها لا تعرف مصدرها.. كانت ليلة هادئة جلس فيها الدكتور كمال بجانب زوجته الحنونة وابنتهما الجميلة يتناولون العشاء عندما غمزت ندى لأمها وأشارات لها برأسها لتتحدث إلى والدها :

- كمال انت عارف ندى بنتنا كبرت وقربت تكمل واحد وعشرين سنه وتخرجت من المعهد وكانت قد المسئولية دايما وتقدر تعتمد على نفسها واحنا فخورين بيها.

فابتسم الأب الحانى ليرمق عصفورته الصغيرة الخجلة من ثناء أمها عليها قائلا:

- طبعا يا نهلة الحمد لله إن ربنا أعاننا وقدرنا نربيها كويس وهى مخيبتش ظننا أبدا وكانت قد الثقة صحيح أحيانا بتكون عنيدة زى أمها لكن هما الستات كده نعمل ايه.

ضحك الثلاثة ثم ساد الصمت بضع دقائق لاحظ أثناءهم كمال التوتر البادى على وجهيهما.. ثم قالت نهلة :

بنتك عندها حفلة آخر الشهر مع أصحابها.. سهره فى فلة مدير مجلس إدارة شركة Shmeider Electric فى التجمع وهترجع قبل الساعة عشرة بالليل وزمايلها هيوصلوها ب..

قاطعها صوت كمال بنبرة غضب وحزم واضحين : اتكلمنا فى الموضوع ده قبل كده وقلت ممنوع شغل الحفلات الخاصه ده.. كان ده شرطى أول يوم راحت فيه الأوبرا يا نهلة هانم ولا نسيتى انتى وبنتك؟؟

قالت ندى بصوت أقرب إلى البكاء : أرجوك يا بابا ادينى فرصة تسمعنى.. الموضوع بالنسبالى مش بس فلوس زياده وان اللى هاخده فى الكام ساعه يساوى اللى باخده طول الشهر من الأوبـرا.. أنـا عـاوزه أخـرج من الحى وحياتى الروتينية البسيطة.. عاوزه أشوف ناس جديدة واثبت نفسى.. بابا انت مش لسه قايل إنك بتثق فيَّا.. ندى هتفضل ندى فى أى مكان تروحه وأى وقت و.. . . .

– أنا قلت آخر كلام عندى وغير قابل للنقاش.. قالها الدكتور كمال وقام من مجلسه ليذهب إلى غرفته متفاديا عيون ندى المليئة بالدموع وكلام نهلة وهى ترجوه بأن يعيد التفكير، لكنه لم يرد أو يلتفت إليها.

* * *

فى الصباح التالى كانت الفتيات الثلاثة يجلسن حول ندى على سريرها

obeikan.com

يحاولن مواساتها ما بين مؤيدة ومعارضة لرأى العم كمال فى خوفه على ندى.. لكن (أسماء) لاحت لها فكرة فاعتدلت فى جلستها وطلبت من البنات أن ينصتوا لها :

بصى يا ندى دلوقتى انتى عاوزه تروحى الحفلة وعمو كمال مش راضى

فصاحت فيها ميرال : قلتى جديد كده يا غبية !!

فتتابع أسماء متظاهره بعدم سماعها لسخرية ميرال منها : الحل موجود قدام عنيكم.. محمود.. محمود لو طلب أى حاجه من عمو كمال هيوافق وتراهنونى ؟

ساد الصمت فترة لتقطعه ندى قائلة : لا مينفعش.. محمود أصلا موافق بابا ورافض موضوع السهر والحفلات.. اسكتى وحياتك يا أسماء بلاش أفكارك دى ..

-استنى يا ندى... قالتها أمل فى هدوء لتتابع كلامها : أسماء معاها حق.. الوحيد اللى يقدر يقنع باباكى هو محمود خصوصا لو قال إنه هيروح معاكى وبكده عمو كمال مش هيقلق عليكى..

-أيوة كده الناس اللى بتقدر أفكارى.. قالت أسماء فى تعالى واضح

-محمود إيه يا أمل اللى هيروح مع ندى !!!.. قالت ميرال فى استغراب شديد.

نظرت اليهم ندى لتعلن رفضها التام لهذه الفكرة واستحالة اقناع محمود

بأن يقابل والدها ويقنعه.. قائلة :

ومفكرتوش إزاى هاخد محمود الحفلة.. الأماكن دى دخولها مش سهل.. والأصعب اقناع محمود بالفكرة.

هنا وقفت أسماء لتتشير بسبابتها الى راسها مفكره : سيبوا الأخيرة دى عليًا.

تلقى محمود اتصالا مفاجئا من ندى التى أخبرته أنها تريده فى أمر هام وعاجل وهى بانتظاره أمام محل العصائر الجديد.. فارتدى ملابسه على عجل وهرع إليها يسابق قلبه خطواته وعندما وجدها زاد قلقه واضطرابه.. كانت عيناها مملوءة بالدموع وجفونها متورمة من أثر بكاء طويل ،فأسرع يسألها ما بها أو إذا ما أصابها مكروه فأومأت له برأسها أنها بخير ،فدخل المحل واشترى كوبان من عصير المانجو الطازج، وجلسا على إحدى المقاعد الخشبية وظل صامتا منتظرا توضيح ندى حتى استجمعت ندى نفسها وقالت بصوت يخالطه البكاء كما علمتها (أسماء) :

الأستاذ بتاعى فى المعهد اتوفى النهرده الصبح كنت باحبه جدا كان قدوتى و. . .

نظر محمود إلى يمامته الصغيرة بعينين حانيتين وقال لها مواسيا : الله يرحمه يا ندى مكنتش أعرف إنك بتتأثرى أوى كده لكن مش غريب على قلبك الطيب ال..

– مش ده بس اللى مزعلنى.. قالت ندى فى أسى واضح ونظر إليها محمود

مستفهما فتابعت حديثها فى هدوء :

أنا وزمايلى وأساتذتى فى المعهد عاملين لدكتور منعم ربنا يرحمه حفلة فى الفيللا بتاعته فى التجمع الخامس كمباوند القطامية هيلز.. زى حفلة وداع.. فكرنا بيها نقدر مجهوده وتعبه معانا ..

سكتت ندى لحظة لتنظر فى عينىِ محمود الذى أشاحهما عنها بعدما فهم قصدها.. فأردفت قائلة : وطبعاً بابا رافض بحجة إنى هتأخر وانا والله هارجع الساعة عشرة ومش هتأخر بعد كده و.. .

فأمسك محمود يديها بحنان كبير وقال بصوت واضح :

ندى أنا فاهم جدا زعلك على أستاذك لكن فاهم بردو سبب رفض عمى كمال وخوفه عليكى.. حاولى تتفهمى باباكى و..

قاطعته ندى قائلة : بس بابا مش هيخاف عليا لو انت كنت معايا يا محمود.

قابل محمود عرض ندى بالرفض فى البداية ،ولكن سرعان ما عدل عن رأيه عندما رأى إصرار ندى على الذهاب وحزنها الشديد على معلمها صاحب الفضل عليها فى تفوقها فى عزف الكمان.. فوافق على مساعدتها وكما اتفقا ذهب إلى والدها واستأذنه فى اصطحاب ندى إلى إحدى دور السينما القريبة ليشاهدا فيلم أحمد حلمى الجديد ووعده بأنهما لن يتأخرا عن العاشرة مساء.. ووافق والدها فهو يثق فى محمود ويبارك علاقته بابنته ويرى صدق المشاعر والاخلاص فى عينىٌ ذلك الشاب الطموح..

* * *

ارتدت ندى فستانا طويلا من اللون الأسود الذى يكشف مساحة كبيرة من ظهرها ويقف بحبل سميك من اللؤلؤ الأبيض حول عنقها ليترك كتفيها عاريتين تماما ومن الأمام يطل نهداها المستديران فى بهاء كبير خلف قصة الصدر الواسعة، ثم تنسدل بقية الثوب حول جسدها فى خفة واتساع، وفى قدميها الصغيرتين ارتدت حذاء- استعارته من ميرال - لونه أسود كفستانها.. يرتفع كعبه عشرة سنتيمترات وفى نهاية كعبه حلقة فضية لامعة.. وارتدت جاكت من اللون الأسود وتركت شعرها مرفوعا إلى أعلى مع قصة صغيرة فوق عينيها اللامعتين المرسومتين بعناية بقلم رمادى متلألئ وعلى رموشها الكثيفة طبقتان من الماسكرا جعلت من عينيها أكثر جمالا واتساعا من ذى قبل لدرجة أبهرت أمل التى شهقت فى ذهول عندما رأتها.. ثم دخلت عليهما ميرال لتخبرهما أن التاكسى وصل تحت البيت فودعا ندى وأوصوها بعودتها قبل العاشرة اتقاء لغضب والدها وقلق محمود المتزايد خوفا من أن تتكشف خدعتهم..

كان الطريق هادئا لم يوتره سوى صوت محمود القلق وندمه على اشتراكه فى هذه الكذبه وتحذيره لها، حتى لا تتأخر، فيذهب ويحكى الحقيقة لأبيها.. الذى وثق به وهو خيب ثقته لأول مره وكذب عليه.. طمأنته ندى وأنهت الاتصال معه لتجد نفسها بعيدا عن زحمة المواصلات وضجيج الناس.. تنفست هواء جديدا مليئا بالراحة والهدوء.. لاحت من نافذة التاكسى مبانى فخمة وفلل على طراز أوروبى حديث جعلها تشهق وتفتح عينيها لفرط إعجابها بالشكل المعمارى الراقى، لم يقطع شرودها إلا صوت السائق ينبهها إلى وصولها إلى المكان المحدد.

أمام الفلة الفخمة المقام بها الحفل على شرف الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاما على زواج رأفت بك الشاذلى رئيس مجلس إدارة شركة Shmeider Electric ورجل الأعمال المشهور من زوجته عايدة هانم سليمان ابنة سليمان باشا العادلى وزير اقتصاد مصر الأسبق فى وجود نخبة من أغنياء القاهرة وأشرافها وأصدقاء عرب وأجانب جاءوا ليشاركوهم احتفالهم السعيد.

كان الحفل راقيا حقا ومكلفا أيضا تعجبت ندى من وجود أناس فقراء لا يجدون قوت يومهم فى بلد يحتفل بعض أبنائه بما يكلفه ملايين الجنيهات فى ليلة واحدة.. وأثناء شرودها استدعاها قائد الأوركسترا لتنضم لزملائها وتبدأ فى عزف سيمفونية عذبة بعنوان Romantic Paradise ثم سيمفونية The Flying Dutchman ورقص بعض الضيوف على أنغامهما العذبة.. وفورانتهائهم من العزف وحان وقت إلقاء كلمة صاحب الحفل.. استأذنت ندى وذهبت لتصلح مكياجها لتعطى لنفسها قدراأاكبر من الحرية فليس كل يوم متاح لها حضور حفلة ضخمة كتلك.

قاطعها صوت قوى من خلفها مباشرة انتفضت له جميع ذرات جسدها لتنظر إلى مصدر الصوت فتجد شابا وسيما أنيقا يرتدى بدلة رمادية داكنة وكرافت أسود رفيع.. كان ينظر بداخل عينيها.. بشرته بيضاء صافية.. ذقنه حليقة... شفتاه مستديرتان وأنفه مستقيم وعيناه العسلستان عميقتان وحاجباه يقفان فى كثافة مقبولة حارسين على اتساع عينيه وعمقهما.

تنهد (خالد) ونظر إلى السماء حيث بدا القمر شامخا من خلف سحابة

رمادية حمقاء ليطل فارضا حضوره على الجميع.. ثم أعاد النظر إلى ملامحها المضطربة وحركاتها المرتبكة ووجهها الذى تعلوه حمرة خدودها العزراء وقال ممازحا :

تعرفى انتى فيكى شبه من القمر ده.. كل ما تبصيله تتشدى ليه أكتر وتسرحى جوه تفاصيله الصغيره ومتزهقيش أبدا، غير النجوم التانيه اللى تتشديلها لحظة.. وتنتهى اللحظه.

كل هذا وندى تستمع إليه صامتة واجمة ،فاستكمل حديثه غيرمهتم بتجاهلها لكلامه : كنت مراقبك وانتى بتعزفى.. سافرت كتيروحضرت حفلات كبيرة لكن أول مرة أسمع لحن صادق كده كأن روحك بترقص وسط الناس كأنك فى عالم تانى بعيد عنهم.. تسمحيلى بالرقصة دى ؟

فى هذه اللحظة بدأت الأوركسترا العزف.. كانت تعلم أنهم يحتاجونها.. لكنه لم يعطها فرصة للرفض.. جذبها من يدها المرتجفة وضمها إلى صدره وأحاط كتفيها العاريتين بزراعه القوية.. كانت رقصة سحرية انتقلت بعيونهما إلى عوالم مجهولة مسحورة.. ظلت صامته وهو يرقب أنفاسها ويشم شذى عبير شعرها مقتربا من أذنها فتتراجع قليلا بجسدها.. أسلمت له نفسها يديرها فى الهواء راقصين على مقطوعة The Second waltz للرائع (أندرى ريو) قائد أوركسترا يوهان شتراوس الذى تحلم بمقابلته يوما ما.. لطالما تمنت ان ترقص عليها مع محمود وعندما طلبت منه ذلك ضحك منها اعتقد بانها تمازحه.. ها هى الآن ترقص ممسكة يدي هذا الشاب.. أنفاسه تبعثرها وعطره الراقى يسكر أنفها.. من ذلك

الغريب الذى اقتحم عينيها مدعيا معرفته لهما !!! من هذا الرجل الذى يمسك بزراعيها ويراقصها تحت عيون السماء المتلألأة ؟؟

انتهت الرقصة لتبتعد قليلا إلى الوراء.. شاهدت رجلا يسرع نحوهم – تبدو عليه علامات القلق – اقترب منه ليهمس فى أذنه بكلمات جعلت قلب الغريب يخفق بسرعة ويذهب مسرعا دون ان يلتفت نحوها.. بينما ظهرت ليلى صديقتها تطالبها بالاسراع فالحفلة انتهت باكرا دون معرفة السبب وعليهم بالرجوع الآن..

فى الحى توقف التاكسى.. تنزل منه ندى مسرعة أمام منزل العم جمال.. تفتح لها ميرال الباب.. تصعد الفتاتان إلى الاعلى لتجد امل بانتظارها ليساعداها على تبديل ملابسها وأسرعت ندى بالخروج بصحبة أمل بعد ما وعدت ميرال بان تحكى لها كل شىء فى الغد فعليها العودة مع أمل إلى منزلها.. وفى الطريق رأت والدها مقبلا باتجاههم.. كان وجهه شاحبا تبدوعليه علامات الضيق.. تزايدت نبضات قلب ندى حتى كاد أن يخرج من بين أضلعها.. كتمت أنفاسها استعدادا لما سيحدث.. هل علم بما فعلته؟ هل أخبره محمود وكشف خدعتهم ؟هل.. ؟ وهل.. ؟

* * *

الفصل الثالث

نظر الدكتور كمال بعينين مهمومتين إلى ندى، فقد كان يشغله أمرهام وخطير.. أسرعت ندى نحوه بصحبة أمل.. فأخذ نفسا عميقا قبل أن يتوجه إليهما بالكلام.. تعجب من مجيئها المبكر فالساعة ما زالت التاسعة والنصف.. طمأنته بأن الفيلم كان مملا قليلا ومحمود لديه امتحان فى الصباح الباكرو لم ترد إزعاجه.. كانت ندى تحكى لأبيها وفمها يتلعثم بالكلام تكاد تتبعثر الحروف على شفتيها.. لكن والدها لم يلحظ شيئا.. ودع الفتاتين وانصرف متجها إلى قهوة الحى.. فتنفست أمل الصعداء بأن الموقف انتهى على خير بدون مشكلة ،فى حين ظلت ندى ترقب خطوات أبيها المتثاقلة حتى غاب عن ناظريها.. كان الدكتور كمال تلقى اتصالا من صديقه جمال يخبره فيه بمرض التهاب الكبد الفيروسى الذى أصابه.. وطلب منه أن يقابله فى المقهى ليطلعه على التحاليل والأدوية التى نصحه الطبيب بتناولها.

وصلت الفتاتان إلى شقة أمل فى الطابق الثانى بعد ما حكت ندى لها عن لقائها بخالد.. ذلك الشاب ابن صاحب الحفل لطالما رأين صوره تطالع المجلات والصحف فهو شاب غنى وسيم درس الهندسة فى أكبر جامعات فرنسا وأوروبا ،وعاد ليساند أباه فى عمل الشركة وفروعها.. كانت أمل

تستمع باهتمام لوصف ندى للحفلة الفاخرة والطبقة الأرستقراطية، كانت تنتقل بين وجوه المعزومين فلم تجد فيهم الدفء والحنان الذى ينبع من قلب هذا الحى.. أجل، حياتهم مرفهة أحلامهم تحققها نقودهم لكن السعادة والمشاعر الحقيقية والقلوب الصادقة لا تُشترى بأموالهم ولا تُساوم بأرصدة بنوكهم الزاخرة.

* * *

فى مكتب فخم أعلى المبنى الإدارى للشركة يجلس خالد بعد أن استلم وظيفته ليمهد لاستلام مكان والده بعد أشهر قليلة بعد أن قارب عمره إلى الستين عاما.. خالد شاب متميز ناجح لم تمنعه ثروة والده الهائلة من اصراره ومثابرته لإثبات نفسه وصنع اسم خاص له فى سوق العمل.. كان الأول دائما فى صفه الدراسى واللاعب الأمهر فى الاسكواش على مستوى العالم وحاز مركزا متقدما فى بطولة السباحة المحلية وعندما سافر إلى باريس لاستكمال دراسته الجامعية كان الأول أيضا على دفعته لمدة أربع سنوات متتالية.. فى حياته لم يعرف طعم الفشل أبدا ،إلا فى حياته العاطفية التى لم يوفق فيها أبدا.. لا يعلم إذا ما كانت المشكلة به أم فى البنات اللواتى يعرفهن لكن الأكيد أنه يشعر بالملل والرتابة كلما يتعرف بواحده وسرعان ما ينهى علاقته بها.. ولكنه منذ ليلة الاحتفال والفتاة عازفة الكمان الشارده التى رقص معها تحت أنغام المساء فى ليلة مقمرة سخية.. لم يستطع نسيان صورتها وملامحها الفاتنة وخجل عينيها الرماديتين وملمس يديها المرتجفتين.. كم مرة أعاد حكاية ما

حدث لصديقه فريد الذى بدوره يكاد بصعوبة يتذكرها حينما جاء ليخبر خالد بما حدث لعايدة هانم وإغمائها مما جعل خالد يترك الحفلة مسرعا ليطمئن على أمه.

حكى خالد لصديقه كيف بحث عن ساندريلا كما أسماها ،ولم يجدها فالحفلة انتهت سريعا وغادرت الأوركسترا والمدعوون جميعهم.. كما طلب أسماء العازفين وملفهم فلم يجد سوى فتاتين فى الفرقة الموسيقية وملامحهما لا تشبه ساندريلا بشىء .. إنها ليست أحد أفراد الفرقة كانت ضيفا معهم.. وما زال يبحث عنها.. بينما يستمع إليه فريد وهو لا يكاد يصدق كيف أصبح صديقه فتى أحلام بنات مصر مغرما بفتاة قابلها صدفه ولم تبادله الحديث قط بل وقع فى غرام عينيها كما يزعم.

وهنا دخل والده ليرمى بمزكرة أمام خالد ويسأله فى غضب متزايد :

-من إمتى يا بشمهندس خالد بتاخد قرارات فصل فى الشركة من غير إذن منى ؟؟ أستاذة ريهام دى واحدة من أكفأ الموظفين عندنا فى الشركة و.. .

استأذن فريد بالانصراف ،وأغلق وراءه الباب.. ليقف خالد شاهرا بالورقة فى وجه أبيه قائلا :

-كويس إنها جت على قد الفصل وبس.. كان ممكن أعملها قضية تزوير بعد ما اكتشفت تلاعبها فى حسابات الشركة.. لكن اتضح إنها بتعمل كده بمساعدة حضرتك ليها..

فصاح رأفت بك فيه محذرا : إياك تتدخل فى شغلى وموظفينى.. أنا فاهم

إنك بتعمل كده وتقول اى كلام عشان صدقت مامتك اللى اتهمتنى انى على علاقة مع الأستاذة ريهام و.. .

فقاطعه خالد : ماما متهمتش حد إلا لما شافت بعينها.. ماما طول عمرها حاسه وساكته.. أما بخصوص حكاية التزوير فأنا معايا مستندات تثبت كلامى.

فتح خالد درج المكتب العريض ليناول أباه ملفا يضم بعض الأوراق المصورة التى تثبت تهمة التزوير.. فأخذها منه والده وأسرع بمغادرة الغرفة وأغلق وراءه الباب فى غضب كبير.. ألقى خالد جسده على الكرسى.. سارحا ببصره أعلى سقف الغرفة، ثم اغمض عينيه ليستعيد صورة ساندريلا.. فابتسم ابتسامة عريضة تغمره بالسعادة ،وتخفف عنه حزنه على أمه وقلقه عليها.

* * *

مرت أربعة أشهر على تلك الليلة التى ما تركت زاكرة ندى بالرغم من محاولة أمل لتزكيرها بأنها مثل حلم عابر لن يتكرر لا تستطيع الذهاب هناك مرة أخرى.. إلى من ستذهب ؟ هل يتذكرها خالد ؟ إنها مجرد دقائق صغيرة توقف الزمن عندها لحظة ثم مضى مسرعا.. إذا لماذا ظلت ذاكرتها عند تلك الدقائق ولم تغادرها ؟ هل أحبته حقا ؟ أم مجرد إعجاب بشاب ثرى وسيم كما قالت لها أسماء .. هى حائرة.. خائفة ربما.. هل ميرال محقة ؟ أتحب محمود حقا ؟ نعم هى تحب محمود.. هو صديق طفولتها

ورفيق عمرها ويبذل روحه لينال نظرة حب من عينيها.. يعشقها.. لم يعرف سواها.. وها هو الآن قد أنهى دراسته وحصل على شهادة بكالريوس الطب بتقدير عالٍ جعل الخالة فاطمة تفى بنذرها وتذبح جملا، وأقامت حفلة عزمت فيها كل سكان الحى الذين توافدوا عليها فرحين يشاركونها الافتخار بتخرج طبيب من شارعهم البسيط..

* * *

اتفقت الفتيات الأربعة على الخروج سويا إلى وسط البلد لشراء ملابس جديدة من مدينة نصر وتناولهم الغداء فى رحلة نيلية على قارب صغير ثم عودتهم قبل حلول المساء تجنبا لغضب عم ربيع الذى وافق بصعوبة بعد الحاح كبير من ابنته وأمل على ذهاب أسماء معهم.. التى زفت إليهم خبر ذهاب حسام وأمه إلى أبيها وطلبهم المجىء غدا ليتقدموا بطلب يدها كما وعدها حسام دائما.. فرحت االبنات لصديقتهم واحتفلن بهذا الخبر سويا.. وعندما انتهين من شراء ما يلزمهم من ملابس اشتروا بعض الساندوتشات والكولا البارده وتوجهوا نحو النيل ليلتحقوا بمركب صغير يأخذهم فى عرض النهر العظيم.. كانت ميرال تحكى عن أحلامها ورغبتها فى تكملة دراستها ب لندن وعن أفراح أقاربها وفساتينهم الغالية.. واستطردت أسماء فى حكيها عن حسام الذى أصبح بطل الأبطال ورجل الرجال بعد ذهابه لخطبتها وكعادة كل فتاة حمقاء أن تنظر إلى حبيبها بعين قلبها فتراه ملاكا مخلوقا من نور لا يخطئ أبدا، ومن هنا تبدأ المشاكل.. وحكت لهم أمل عن تقدم عماد لها وحديث والدها عن أخلاقه

الحميدة وقرب حصوله على درجة الماجستير فى أمراض القلب والأوعية الدموية ،وكيف أتى يحمل الورد وعلبة الشيكولا مع والدته الوقورة ،وجلس لأول مرة أمامها مرتبكا يحاول جذب أطراف الحديث.. لم تتوقع أمل أن تعجب ب عماد بمجرد أن تقع عيناها عليه لتجد شعورا جديدا وارتياحا كبيرا ينساب على أوصالها.. هى التى لم تؤمن أبدا بالزواج التقليدى وأنه خالٍ من الحب والمشاعر ،لكن مع عماد أدركت خطأ زعمها.. أما ندى فاكتفت بسماع أحاديثهم ،وأسندت رأسها على يدها متأملة فى روعة النيل وجمال المنظر على جانبيه.. حيث تطل المبانى الفخمة والفنادق الفاخرة بأضوائها الخافتة من بعيد.

* * *

كانت الشمس قد قاربت على المغيب عندما أنهت الفتيات رحلتهم النيلية القصيرة وسرنَ على كورنيش النيل يتبادلون الكلام والضحكات.. بينما كان خالد يمر بسيارته محاذيا النيل يفكر فى تصرفات أبيه الغير مبررة وتدهور صحة أمه بذلك المرض اللعين.. فوقعت عيناه على ندى كأنه رآها وسط المارة تضحك مع رفيقاتها.. فأسرع وأوقف سيارته وعاد أدراجه مخترقا جموع الناس.. ظن فى بداية الامر انه يتوهم فبدأ يرى صورتها على أوجه الماره.. لكنه توقف ليجدها انحنت على امراة عجوز تبيع الذرة المشوية لتبتاع منها ولصاحباتها.. ظل واقفها يرصد حركاتها وتعبيرات وجهها الحنونة مع المرأة المسكينة على بعد أمتار قليلة منها ،وما إن أدرات وجهها حتى وجدته أمامها.. يقف فاتحا زراعيٍ قلبه له مبتسما حتى

الضحك تلمع عيناه فى فرح وحب كبيرين كمن وجد كنزا عظيما.. تركت ندى صديقاتها اللاواتى تسمرن فى أماكنهن وتوجهت نحوه فى هدوء.

وقفت ندى فى مواجهة خالد على بعد قدم منه ناظرة فى عينيه، شىء ما يشدها إليهما يربط لسانها عن النطق بينما ظل خالد محدقا بها لا يدرى كم مضى من الوقت وهو على هذه الحالة واقفا كالتمثال.. لقد وجد ساندريلا أخيرا.. قطع هذا الصمت صوت ندى الذى أتى عذبا رقيقا :

حضرتك اللى رقصت معاه فى الحفلة.. صح ؟ فاكرنى !!!

تسأله إذا كان يتذكرها أم نسيها.. لا تعلم كم مرت عليه تلك الأشهر فى بحثه عن طرف خيط واحد يوصله إليها وإلى اسمها فمد يده إليها وقال مقدما نفسه لها :

اسمى خالد.. أنا مبسوط جدا إنى قابلتك تانى صدفة.. أتمنى لو.. .

للحظات نسيت ندى من تكون.. نسيت صاحباتها اللواتى يستعجلنها للذهاب.. نسيت محمود وحبه لها.. نسيت والدها.. ولكنها سرعان ما استعادت نفسها لتقاطعه قائلة :

أنا لازم أمشى دلوقتى إتأخرنا.. فرصة سعيدة .. عن إذنك.

- أرجوكى قليلى إسمك.. ممكن نبقى اصحاب.. أنا عاوزك تعلمينى أعزف كمان زيك.. أنا..

حاول خالد أن يعترض طريق ندى وهى تهم بالذهاب ممسكا بزراعها

فنظرت إليه نظرة قاسية لمح فيها رفضها له إلا أن داخلها يرقص من شدة فرحها بلقائه فقال لها : حتى لو مقلتيش اسمك.. القدر والصدفة اللى جمعتنا مرتين تقدر تجمعنا للمرة التالتة بس وقتها هتكونى قدرى ومش هاتنازل عنك أبدا ولا هاسمحلك تسيبى إيديا تانى وتهربى منى.

نظرت إليه ندى نظرة طويلة ثم عادت وانضمت إلى الفتيات اللواتى هممن بالعودة وتركته واقفا مكانه يراقب اختفاء ساندريلا للمرة الثانية ولكن هذه المرة هو تركها تذهب متحديا لها مبرهنا على حكمة القدر وثقته فى حبه لها.

* * *

وتحدد ميعاد خطبة امل صديقة ندى وتوأم روحها وأقيمت الأنوارعلى مدخل العمارة وجاء عماد يومها أنيقا وسيما.. كان يجلس بجوار امل كأنه لم يرى غيرها منذ دخوله المنزل كانت عينيه تشعان حبا وفرحة وسعادة.. يومها تبادلت ندى ومحمود النظرات واقترب منها ليهمس فى أذنها : عقبالنا يا ندى.. فابتسمت فى خجل دون أن تنطق بكلمة واحدة.. نظرت إلى عماد وهو يضع خاتمه فى يد أمل العروس الخجولة.. وفى داخلها تتساءل هل تريد أن تتزوج محمود حقا !!! نعم.. ربما.. لكن ليس الآن.. هى تدرك أنها تؤجل فكرة الارتباط وتعمل جاهدة لإقناع محمود بذلك.. لكن إلى متى ؟ إلى متى ستظل تؤجل !!!!

* * *

لم ينس أحد من سكان الحى تلك الصرخة المدوية التى أطلقت فى منزل العم جمال ،فأسرع الجيران إلى المنزل.. فوجئوا بزوجته تصرخ بالبكاء.. فدخل محمود واقترب من العم جمال يفحصه، ثم نظر إلى الدكتور كريم ليشيرله بتاكيد خبر وفاته.. مات العم جمال.. لم يستسلم للمرض الذى حاول أن يقهره دون جدوى .. أخفى مرضه وألمه عن ابنته وزوجته حتى لا يقلقهم، وصارح به صديقه كمال ليشاركه همومه.. مات العم جمال لكنه ترك فى قلوبهم مكانا فارغا بابتسامته الهادئة ووجهه الصبوح.. تذكرت ندى عندما كانت فى الثامنة من عمرها وكيف كانت تذهب لتلعب مع ميرال بألعابها الجديدة ويقابلها العم جمال ويحملها على ظهره ويعطيهما الحلويات والنقود أثناء ذهابهم سويا إلى المدرسة.. أصبحت زكرياتهم بعيدة وغدا العم جمال ماضيا فى كتاب الأيام..

ولم تنسى ندى أبدا اليوم الذى جاءتها فيه ميرال لتخبرها برغبتها فى السفر إلى لندن مع والدتها للعيش بجوار خالها طبيب الأطفال وزوجته البريطانية الشقراء واستكمال دراستها فى لندن.. لم تستطع ندى منعها فهى تفهم جيدا رغبة ميرال فى الهروب من المكان الذى يذكرها كل شىء فيه بأبيها ،كما تريد الهرب من عينين أحمد ومحاولة نسيانه، والبدء من جديد.. كانت تبحث عن فرصة لبناء حياة أخرى.. وفى ذلك اليوم وقف كل أهالى الحى يودعن الخالة يوستينا وابنتها ميرال ويوصيانهما بضرورة مراسلتهم للاطمئنان عليهم وزيارتهم فى الأجازات.. كانت عيون الصديقات الأربعة بحورا من الدموع المنهمرة وهن يودعن أحد أعمدة

بيت صداقتهم.. وعندما بدأ التاكسى فى المغادرة جرت وراءه ندى وعلى جانبيها أمل وأسماء تهرولان.. حتى غاب التاكسى وابتلعه الزحام..

* * *

طلبت زوجة رئيس الوفد الفرنسى من شركة Schmider Electric حضورعرضا كلاسيكيا فى دار الأوبرا المصرية، فاضطر فريد أن يعدل برنامج زيارتهم ويقوم بحجز التزاكر لهم ولخالد ،وأعرض الأخير عن الاستجابة لحضور العرض بينما أصر فريد على ذهاب خالد بدلا منه ليجد بعض الوقت كى يحضر حفل زفاف ابن عمه فى الصعيد..

وهناك بعد انتهاء العرض المسرحى الأوبرالى الممل كما وجده خالد.. صعدت الفرقة الموسيقية أعلى المسرح وبدأت بعزف مقطوعة (موتسارت) الهادئة لتأخذه إلى أحلام كان يظنها مستحيلة إلا أنها بالفعل باتت حقيقة أمامه.. لقد وجد ساندريلا للمرة الثالثة.. إنه القدر يا عزيزى، يفعل بنا ما نريده أن يفعل.. لسنا مُنقادين او مصيرين.. قد كرمنا الله بعقل كبير يميز ويناقش ويقرر ويختار.. إننا أسياد اللعبة.

استأذن خالد من الوفد وذهب إلى الباب ينتظر خروجها.. رآها تخرج مع زملائها فى نشاط وحيوية كعادتها، فظهر أمامها فجأة.. توقفت أنفاسها لحظات قصيرة توقف فيها الزمن عند عينيه اللامعتين كمغارة مسحورة ،أركانها من ماس وجدرانها من ذهب يومض بضوء الحياة.

اقترب خالد من ندى وجذبها من كتفيها وهـمَّ بوضع قبلة على جبين

ساندريلا فى ثقة وهـدوء معبرا عن انتصاره وسعادته برؤيتها ووصوله إليها.. فهمس فى أذنيها باسمها .. ندى... وظل يردد الاسم وهو يقلب ملامح وجهها الخجولة بين يديه، وبينما كان غارقا فى أحلامه أفاق على ضربة من كف ندى الصغيرعلى وجهه أعادته إلى أرض الواقع صارخة فيه بأنها مخطوبة ل محمود وأنها لا تستطيع فعل ذلك.. ثم غادرت مسرعة حيث التقت بمحمود ينتظرها كعادته أمام الأوبرا.. بينما ظل خالد مستمرا فى ابتسامته الواسعة وفرحته العارمة فلقد صالحه القدر ،ومنحته السماء بركاتها ووجد ساندريلا وبات يعلم كل شىء عن حياتها.

* * *

obeikan.com

الفصل الرابع

كان محمود كعادته ينتظر حبيبته ندى، وعندما ظهرت أمامه.. أمسك يدها وانطلقا عائدين.. كان وجه ندى شاحبا.. جفون عينيها مسدلتان فى حزن وألم بالغين.. ظن أنها تشتاق لميرال وحزينة على فراقها.. لكن ندى تغيرت.. إنه يشعر بذلك منذ تلك الليلة المشئومة فى القاهرة الجديدة.. شىء ما فى عينيها اختفى.. نظرتها له.. شرودها المستمر.. حتما حدث شىء ما شغل تفكير يمامته.. لكنها لا تصارحه وتختلق أى أعذار وهمية عندما يواجهها.. لكن كل هذا لا يهم فهو الآن قد تخرج.. وبالأمس تحدثت أمه فى موضوعه مع ندى ورغبتها فى أن تراه سعيدا وكيف يرحب أهل الفتاة بهذه العلاقه، فابنها دكتور كبير وسيصبح طبيبا عظيما.. كما ظلت توصيه بألا ينسى أهل الحى الطيبين ومساعدتهم لها دائما.. نظر محمود ل دى وقطع الصمت بينهما بموقف طريف حدث فى مستشفى الطوارئ فابتسمت ندى وشاركته الحديث قليلا عن يومها فى الأوبرا حيث حضر وفدا فرنسيا هاما عزفت أمامهم بمهارة كبيرة أشاد بها الجميع.. وعندما وصل الاثنان إلى باب العمارة التى تقطن فيها ندى استدار محمود ليقف أمامها مباشرة وسألها عن سبب رفضها وتأجيلها موضوع الخطوبة ورغبة أمه الملحة.. رفعت ندى عينيها لتجد خالد أمامها.. إنها مشوشة.. أفكارها مبعثرة ومشاعرها مشتتة.. لم تسمع كلام محمود وعندما انتهى هزت له

برأسها لتخبره أنها مرهقة قليلا وطلبت أن يؤجل النقاش للغد.. تركها محمود بعد أن اطمأن أنه مجرد صداع بسيط.. وتركها وحدها عالقة فى دوامات متداخلة بين اليأس والرجاء.. أهى تحب محمود ؟ لكن خالد ؟ أهى حقا تحبه ؟ ما ذلك الشعور الذى يجتاحها عندما تنطق باسمه ؟ تذّكرت اللحظات القليلة بينهما ونظرات عينيه داخلها.. أصبحت تراه حولها ؟ إنها تريده تشتاق له.. تتمنى لو يأتى لها ثانية ؟ لماذا صفعته وأخبرته عن علاقتها ب محمود ؟ ورغبة محمود فى إتمام الخطوبة وإلحاح الخالة فاطمة؟ هل تريد الزواج منه ؟ هو يحبها لكن هل تبادله الحب ؟ مشاعرها وانتفاضة جسدها تحت سطوة عيني خالد !! ونبضات قلبها المتسارعة وارتباكها عند رؤيته !! هل هى حقيقية !!! محمود أم خالد ؟ تتمنى لو تكف الأرض عن الدوران فى رأسها وتعطيها جوابا واحدا.. أتحب خالد حقا ؟

* * *

كان يوما هادئا على سكان الشارع لم يعكر صفاءه غيرطرقات الباب الشديدة المتسارعة، فتحت ندى الباب.. وأسرعت والدتها وراءها ليجدا أمل تطالبهم بالمجىء ،وتخبرهم بما حدث لأسماء.. انتحرت المسكينة.. قطعت شرايين يدها بسكين حاد.. ذهبت ندى ونهلة معها بعد أن ارتدوا ملابسهم على عجل.. أسرعت أمل فى طلب التاكسى وركبوا جميعهم متجهين إلى مشفى الحى القريب..

جلست الخالة فخرية تلطم على خدها باكية فى حسرة على شباب ابنتها.. وبجانبها نهلة ومنال يحاولان التخفيف عنها وطمأنتها.. بينما كانت الفتاتان

تتبادلان النظرات فى صمت حزين.. جميعهم يدركون مدى ضعف أسماء لكن لم يتوقعوا أن انفصالها عن حسام سيدفع بها إلى التفريط فى نفسها وروحها.. تذكرت ندى كم فرحت لصديقتها عندما أخبرتهم أن حسام رمى بدبلتها فى وجهها وأعلن انفصاله عنها.. كانت تظن دموع أسماء ستهدأ مع الوقت وستنسى حسام وستبرأ من سقمه.. لكن أسماء كانت واجمة لا تنطق بكلمة واحدة.. فرغ جوفها من الكلمات..

خرج الطبيب من غرفة أسماء لتستقبله الفتاتان ،فطمأنهما على صحة صديقتهما وأن حالتها مستقرة وبإمكانهم الحديث معها بعد ساعة بعد ان تفيق من التخدير.. ثم تابع كلامه.. والجنين بخير لكنها تحتاج إلى الراحة.. أخبرت أمل الطبيب بمشكلة صديقتهم وترجته ألا يخبر والدتها بهذا الأمر ،فوافق وتابع حديثه لأمل عن حالة الجنين وعمره.. بينما كانت ندى فى دوامة أخرى جديدة.. الجنين بخير !! أسماء حامل !!! ألهذا انتحرت ؟ هل تركها حسام بعد فعلته الدنيئة ؟ هل يعلم بأمر الجنين ؟

تركت ندى المشفى مسرعة لم تستجب لصيحات أمل ورائها قبل أن تتوقف لتجيب على أسئلة والدتها والخالة فخرية.. بينما استقلت ندى التاكسى وذهبت مباشرة إلى شركة الغزل والنسيج التى يعمل بها حسام.. كان جالسا وسط زملائه يلهو ويضحك ويحكى لهم مغامراته النسائية الكثيرة ووقوع الفتيات فى حبه وكيف يقعن فى شباكه بسهولة.. ويستمع إليه زملاؤه فى اهتمام.. لكن العاصفة هبت على مكتبه دون إنذار.. عندما وقعت عيناه على ندى استطاع بالكاد أن يخفى توتره الشديد وأخذ رشفة من زجاجة

مياه وسألها عن سبب مجيئها.. أخبرته بما حدث فى الصباح وبما قاله الطبيب لهم.. فتظاهر بالبرود وشفقته على أسماء المسكينة.. لم تتصدم ندى فيه كثيرا.. وعندما سألته عن الجنين أشاح بيده بعيدا قائلا بصوت وقح إنه ليس متأكدا إذا كان الجنين ابنه ربما فعلت ذلك مع غيره.. لم تدعه ندى يكمل عبارته فانقضت عليه تمسك بخديه بين أصابع يدها بقوة مفاجأة حتى امتنع عن الكلام ،واقتربت من أذنه لتهمس له بأن أسماء هى سبب وظيفته فى هذه الشركة وهددته بفصله بسهولة.. إذا علم العم كريم بفعلته، وأنها لن تصمت.. كان الغضب يتطاير من عينيها.. تعجب كيف تحولت اليمامة الرقيقة عازفة الموسيقى الحالمة إلى صقر جارح يشهر مخالبه فى وجه من يريد الاقتراب من عشه .. ندى غاضبة من أسماء لفعلتها لكن الغضب الأكبر اتجاه ذلك الوغد الوقح الذى يفترى على صديقتها بعد كل ما قدمته له من حب ووفاء وإخلاص..

رجعت ندى إلى المشفى فوجدت أسماء فاقت من البنج وجلست تتحدث مع أمل التى خرجت من عندها فور رؤيتها لندى ،وتركت أسماء مع والدتها.. ظلت فخرية تلوم ابنتها على تعلقها بشخص مثل حسام وأنه سيأتيها خطاب كثيرون بدأوا يطرقون بابهم منذ فسخ الخطوبة.. كانت نهلة ومنال تؤمنان وتصدقان على كلام فخرية، بينما كانت أسماء تتحسس بطنها ،وتنظر إلى السماء تارة وإلى عيون والدتها الباكية تارة اخرى.. حكت ندى لأمل ما حدث منها مع حسام، وأخبرتها امل بما حكته لها اسماء وكيف خدعها حسام بقوله أنهما سيتزوجان قريبا ،وأنه يحبها ويحتاجها فرضخت

لمطالبه كى لا يغضب منها، ولكن بعد ما حدث بينهما ما حدث تركها ،وأثار مشكلة أخري صغيرة ليعطى لنفسه السبب فى التخلى عنها..

وبعد قليل جاء الدكتور كمال ليصطحب الفتاة إلى المنزل فى سيارته، بعدما عرف الجميع أنها انتحرت بسبب فسخ خطوبتها مع ذلك الشاب المستهتر، وعادت أسماء إلى الحى بعد أن طلبت أمل من والدها ان يستأذن العم ربيع ليسمح لأسماء بالبقاء عندها هذه الليلة.. وافق الأب لعدم قدرته على رؤية ابنته وغضبه الشديد منها وتركها لهم.. أما ندى فاكتفت بنظرات عتاب قاسية ألقتها عليها، ثم عاد الجميع إلى بيوتهم وأسلموا جفونهم إلى النوم ما عدا الثلاث فتيات اللواتى لم يغمض لهن طرف وسهرن حتى الصباح.

* * *

فى صباح اليوم التالى ذهبت ندى إلى الأوبرا.. بعدما مرت على امل ،واطمأنت على حالة أسماء وأوصتها بألا تتركها ربما كررت فعلتها.. وفى طريقها قابلت داليا التى أطلت عند ناصية الشارع.. نادت عليها فتوقفت ندى لتجد الأخرى تسألها عما حدث مع أسماء، وكم هى مسكينة وغبية بأن تغضب من فسخ خطوبتها.. فها هى فسخت ثلاث مرات ولم تتزوج حتى بلغت الثانية والثلاثين.. أومأت ندى برأسها وأوضحت لها أنهم جميعا حزناء على أسماء، لكن لا يُجدى لومها نفعا.. فتعمدت داليا قولها بأنها تشك فى حدوث علاقة بينهما، فصاحت بها ندى نافية :

-لا طبعا يا أبلة داليا.. أسماء متعملش حاجة زى كدة.

امتعضت داليا فى غيظ لعدم مسايرة ندى لكلامها، ونظرت إلى ملابسها قائلة :

– اااه متعملش.. مش عارفه محمود سايبك تلبسى كده إزاى.. هيجرى إيه لو طولتي البلوزه شويه.

نظرت ندى بامتعاض ،وطلبت منها عدم التدخل فى خصوصيتها وتمنت لها يوما سعيدا ورحلت عنها.. لم يكن ينقصها سوى داليا لتعكر صفاء يومها.. حقا يكفيها ما تعيشه..

* * *

منذ تلك الليلة فى الأوبرا وخالد لم ييأس ويتنازل عن حبه لندى، برغم ما أخبرته إياه عن محمود.. لم يفوت لها عرضا أو تدريبا.. يجلس فى ركن بعيد هادئ يراقبها فى صمت متجلى.. يربكها.. تحاول تجاهل وجوده.. لكن عيناه تلاحقها وترصدها.. كم مرة أخبرته بأنها مخطوبة لصديق طفولتها الدكتور محمود، لكنه كان يتابع كلامه ونظراته غير مهتما بما تقوله.. تاليا على مسامعها أعذب قصائد الحب وأرقى كلمات الغزل.. فتجد نفسها تستمع إليه رغما عنها.. وبمرور الأيام أصبحت تبحث عنه فى وجوه الحضور، وعندما تجده عيناها.. ترسل أنغام عزفها إليه.. علّها تخبره بما تحمله من مشاعر لا تقدرعلى الإفصاح بها أمام جرأة عينيه.

ذات يوم جاء خالد مصطحبا والدته عايدة هانم.. السيدة الراقية الجميلة.. كانت ملابسها أنيقة وشعرها مصفف بعناية لا توجد فيه شعرة

واحدة بيضاء رغم تقدم سنها الواضح.. رأتهم ندى وسط الحضور، وابتسمت لهم قبل بدئها فى العزف.. كان عزف ندى جميلا حقا كما أخبرها خالد الذى رأى مدى إعجاب والدته وانبهارها طوال العرض ،وعند انتهاء العزف أضيئت الأنوار، وهمَّ خالد بالوقوف ليصطحب والدته لكى تقابل ساندريلا.. إلا أنه رأى ما جعله يفتح عينيه إلى أقصى مداهما، تباطأت نبضات قلبه ،وتلاحقت أنفاسه ،عندما شاهد والده بصحبة ريهام متأبطا زراعها.. هامسا فى أذنيها ، وكانت الأخرى ترتدى ثوبا مثيرا ،وتضع عقدا من الؤلؤ مثل العقد الذى أهداه لأمه فى يوم الاحتفال.. تذكر كيف انهارت عايدة وفقدت وعيها عندما رأتهما يتبادلان القبلات.. كيف يتصرف ؟.. الآن وقد أضيئت الأنوار حتما ستراهما !! كيف يجعل أمه لا تقع فى صدمة أخرى.. لا يعلم ماذا سيكون تأثيرها عليها !!! ماذا يستطيع أن يفعل.. إنهم أمامهما مباشرة، لو التفتت أمه ستراهم بوضوح !! للحظات توقف فيها عن التفكير.. كما اختفى نبضه بين أضلعه قبل أن.. .

* * *

أعطت أمل صديقتها النائمة دواءها، وتركتها لتأخذ قسطا من الراحة قبل رجوعها إلى منزلها فى المساء.. وبعد ذهاب والدتها مع الخالة نهلة إلى السوق.. استأذنت ندى والدها بانها لتحدثه فى مشكلة هامة.. كانت تعلم شخصية حسام تمام المعرفة، وبأنه استغل ضعف أسماء نحوه جيدا ،ولن يستمع إلى تهديد ندى.. فهو يدرك أنها صديقة أسماء لن تفضحها.. فكان لابد من تدخل قوى يجبر هذا الوقح على تصحيح خطأه..

استمع كريم بك بكل وقار وحزم إلى ابنته العاقلة وهى تقص عليه حقيقة ما حدث بين أسماء وخطيبها السابق ،وكيف خدعها ، وسبب انتحارها الحقيقى، وأمر الجنين فى بطنها.. وعندما انتهت من كلامها ، أخذ الأب الحكيم يد ابنته فى حنان ،وطمأنها بأنه سيفعل ما يجب عليه فعله وطلب منها ألا تخبر أسماء بأنها أخبرته حتى لا تحرج أسماء منه.. وفى اليوم التالى وجد حسام ورقة على مكتبه.. تفيد بشروعه فى سرقة أموال الشركة، والمغالطة فى حساباتها المالية ،وتحويله على التحقيق مع جواب رفده النهائى.. تفاجأ، وصرخ بانه لم يفعل شيئا.. لو اكتفوا باستقالته فقط.. لكن هذه الفضيحة ستجعل كل باب عمل يقفل فى وجهه، وستمتنع أى شركة عن تعيينه.. فهرع إلى مكتب العم كريم ليستنجد به.. لكنه للحظات تنبه أن كريم بك هو من فعل له هذه المكيدة.. تأديبا له على فعلته مع أسماء.. فذهب إليه ناكسا رأسه.. معتزرا.. متوسلا أن يصفح عنه.. وألا يدمر مستقبله.. واعدا إياه بأن يتزوج أسماء ،ويصلح ما اقترفه من خطأ كبير..

نظر إليه كريم بك بعد أن سمح له بالجلوس، وأوضح له عدم رغبته فى فعل هذا معه فقد كان يعتبره فى منزلة ابنه لكن بعد فعلته الدنيئة.. أراد أن يلقنه درسا كى يعرف خطأه ويركه، وأنهى حديثه بأنه سينتظره هذا المساء عند الحاج ربيع مختار ليتفقوا على تحديد ميعاد الزواج ،والإسراع بذلك قدر الإمكان.. لم يملك حسام غير الموافقة ،وعاد إلى بيته ليمهد لوالدته ما سيحدث.. بينما اتصل العم كريم بالحاج ربيع، ليوضح له ندم حسام لفسخ خطبته من ابنته، ورغبته فى الصلح.. فما كان من ربيع إلا الموافقة..

هو يريد أيضا أن يتخلص من عبء هذه الفتاة الطائشة.. كأنها قطعة لحم يتقاذفها من يستطيع التقاطها..

* * *

عندما أضيئت الأنوار.. نظرت ندى نحو الحاضرين، فوجدت رأفت بك الشاذلى يمسك بيد امراة أخرى ويتبادلان الضحكات معا.. عادت بنظرها سريعا إلى مكان خالد ووالدته لتجده غارقا فى قلقه وخوفه.. مابين نظرات إلى والده ونظراته إلى أمه الطيبة.. وهنا أسرعت ندي دون وعى منها ،وهبت تسارع خطاها لتقف فى مواجهة عايدة هانم وتحول دون النظر إلى زوجها ممسكة بيدها ،ثم دعتها للخروج معها.

كاد قلب خالد يخرج من بين جنبيه.. عندما ظهرت ندى أمام والدته تسلم عليها وتبادلها الأحضان والكلمات الرقيقة، وذهابها معها خارجين من الناحية الأخرى الخاصة بأعضاء الفرقة ،وأصطحبتها إلى غرفتها.. حيث بدلت ندى ملابسها وخرجا سويا إلى خالد.. كانت عيناه مملوءتين بالشكر والإمتنان.. لما فعلته ندى مع أمه ،وإنقاذهما من الموقف الصعب ،ومواجهتهم بوالده وعشيقته.. فأخذ بيد والدته وفتح لها باب السيارة بعد ان ودّعت ندى فى حب وود كبيرين..

كانت ندى سعيدة بمساعدتها لخالد ليس من اجله بل لأجل الا ينكسر قلب هذه السيدة الرقيقة المحبة المتواضعة.. وقف خالد مع ندى واقترب منها، ووضع قبلة سريعة على جبينها الناصع.. تركته ندى يفعلها دون إبداء

أى اعتراض وابتسمت له.. .لكن عندما أدار وجهه عنها، تلقى خالد لكمة عنيفة.. جاءته قوية كاد أن يسقط لها أرضا، تابع محمود توجيه لكماته القوية إلى وجه خالد لولا أن جذبته ندى ودفعته فى صدره لتقف حائلا بين الشابين.. وطلبت من خالد الذهاب مع أمه ،وأمسكت بيد محمود الذى جذبها فى قوة إلى داخل التاكسى قائلا فى غضب عارم :

– مين ده يا ندى اللى بتسمحيله يبوسك عادى كده قدام الناس كلها ؟؟ يبوسك يا ندى ؟ ولا عشان غنى ومعاه عربية و::

فصاحت به ندى : احترم نفسك يا محمود.. أنت قلت عادى قدام الناس.. يعنى مبنعملش حاجة غلط.

– لأ، وبتردى ببجاحة.. انتى مش معترفة إنك غلطتى.. اتغيرتى أوى يا ندى هانم.. أنا عمرى ما قربت منك ولا فكرت ألمسك كنت باحافظ عليكى ديما.. بقه دى آخرتها ؟

نظر إليهما سائق التاكسى الذى نصحهما بالهدوء، لكن ندي تابعت صراخها غير مهتمة بكلامه :

ده واحد زميلى كان بيشكرنى على موقف عملته مع أمه ،وحب يعبر عن شكره بأنه يبوسنى.. بوسة عادية.. متكبرش الموضوع يا محمود.

– مكبرش الموضوع !! وأنا غبى.. مشغول.. وطلعان عينى فى النبطشيات عشان أكون نفسى ونقدر نتجوز فى أقرب وقت.. وانتى هههههههههه... مين زميلك ده ؟ وتعرفيه من إمتى ؟ بقالك قد إيه بتستغفلينى ؟

- أوك.. أنا رأيى نسكت ونكمل كلامنا بكره.. نكون هدينا وعقلنا ونقدر نتفاهم وأشرحلك الموضوع و..

- هو لسه فيه كلام، أنا شفتك بتبصيله إزاى.. كنت مراقبك من أول ما خرجتى معاه ومع أمه.. شفت نظراته ليكى.. الراجل بيفهم إزاى راجل غيره يبص لبنت بيحبها.. وشفت لمعة عنيكى ليه اللى كانت ملكى لوحدى وبقالها كتير مختفية.. شفت لهفتك وخوفك عليه لما ضربته.. قد إيه كنت غبى.. فاكرك ملاك.. عمرى ما عارضتك أو سمعت كلام أختى داليا عنك.. كنت باثق فيكى و..

- ودلوقتى خلاص يا محمود مبقتش أستحق ثقتك.. أنا عمرى ما خنتك كنت محافظة على نفسى ليك.. أيوه هو بيحبنى لكن أنا قلتله إنى مخطوبة ليك ،والله يا محمود أنا عمرى ما كنت غير ليك.. احنا خلاص هنتخطب بلاش موقف بسيط يدمر كل حاجة حلوة عشناها.. أرجوك يا محمود أنا آسفة سامحنى غلطت.. كل اللى باطلبه منك شوية ثقة فيا و..

- أنا تعبت يا ندى.. تعبت.. بقالك فترة متغيرة.. بتتهربى منى.. باكلمك وانتى مش معايا.. النهاردة لما شفتك معاه.. إتأكدت من ظنونى.. إحنا لازم نسيب بعض مبقاش ينفع نكمل.. أنا مبقتش باثق فيكى ولا قادر أبص فعنيكى..

- أرجوك يا محمود ادينى فرصة تانية.. أوعدك مش هاكلمه تانى أبدا.

- خلاص يا ندى.. متصعبيش الموضوع أكتر عليكى وعليا.. اانتى أختى زى

أمل وأسماء ولو احتجتى أى حاجة.. هيكون محمود أخوكى موجود جنبك.

غادر محمود محطة المترو مسرعا باتجاه بيته.. تاركا ندى تقف خلف دموعها الغزيرة لاقطة أنفاسها بصعوبة بالغة فمدت يدها لتلتقط هاتفها وتطلب من أمل مقابلتها مسرعة التى بدورها تركت ما بيدها وذهبت إلى المحطة لتجد ندى جالسة على إحدى المقاعد غارقة فى حزنها وشرودها.. فضمتها بقوة إلى صدرها واصطحبتها إتجاه منزلها وفى الطريق حكت لها ما حدث.. حاولت أمل التخفيف عن صديقتها وأكدت لها حب محمود لها الواضح وضوح الشمس وأنه غاضب قليلا مما حدث لكن سرعان ما سيندم ويأتى إلىها معتذرا..

لم يعد محمود إلى بيته تلك الليلة، وظل ساهرا حتى الصباح مع مصطفى صديقه يحكى له ما حدث.. حاول مصطفى أن يدافع عن ندى أمام محمود، لكن غضب محمود منعه من الكلام.. فحكى له الآخر حبه واشتياقه لأسماء، وخوفه لما أصابها.. كان مصطفى ابن العم سليمان صاحب المقهى مغرما بأسماء منذ طفولتهما لكنها لم تعره انتباها ،وأحبت حسام وتركته ليذوب فى لوعته وأشواقه لها.. لطالما حاول محمود أن يثنى صاحبه عن هذا الحب المدمر الذى أتى على قلبه وأدماه ولم يجنى من ورائه سوى الحزن والألم.. الآن محمود مثله تركته ندى -يمامته البيضاء الرقيقة- حطاما.. قلبه ينتفض ألما وروحه تقطر كمدا وحزنا كبيرين.. والسماء تضيق أمام عينيه، يكاد قلبه يتلاشى وسط الوجود.. ما أبطأ النبضات فى قلب يذوب !!

* * *

تزوجت أسماء.. كان حفل زفافها بسيطا.. اكتفى الحاج ربيع بحبلين من أضواء الإنارة على واجهة منزلهم.. واستأجر حسام سيارة متوسطة المستوى مزدانة ببعض الورود، وتم عقد القران فى مسجد الحى، بعده ركب الجميع سياراتهم وذهبوا النيل ودلفوا إلى مركب صغير.. وعلى أنغام الأغانى الشعبية الصاخبة رقصت الفتيات، وبعدها ذهب العروسان ليلتقطا بعض الصور.. وعاد الجميع وانتقلت أسماء لتعيش مع والدة حسام وتسكن فى غرفته الصغيرة وتبدأ حياة جديدة علّها تكون أفضل مما عاشته فى منزل والدها.. حسام يحبها.. تعلم أنه عصبى ومزاجى لكنها ستتحمل كل شىء وستغض النظر عن كلام الخالة حكمت الجارح وتوبيخها الدائم لها.. متمنية أن تبنى حياة سعيدة فى انتظار طفلها ومصدر سعادتها والدافع الكبير نحو استمرارها فى هذه الحياة..

حاولت ندى مرارا وتكرارا أن تقابل محمود وتعتذر له.. لكنه لم يعطها فرصة لم يسمع لها.. وعلى الجانب الآخر ظل خالد يتقرب منها.. كانت تبعده عنها وتتهرب من دعوته لها للعشاء كثيرا.. ف كانت تحس بالذنب اتجاه محمود.. لكن أين محمود ؟ لماذا لا يثق بها ولا يعطيها فرصة أخرى !!! وخالد لم ييأس أبدا.. ظل يلاحقها.. بينما هى تذكره بمحمود خطيبها لكن خالد كان يردد لها دائما بأنها لا تحب محمود، وأنه وحده حبيبها ومن هفا له قلبها.. خالد لا يمل أبدا من تمنع ندى وصدها له.. كان واثقا بحبه.. على يقين تام بأنه يوم ما ستشعر به ندى وستأتى إلى أحضانه كعصفورة وجدت عشا يحتويها بدفئه.. لم يستمع أبدا لنصائح صديقه فريد بأن

ينساها لأن والده لن يسمح له أبدا بالزواج من طبقة تقل عن مستواه المادى والاجتماعى.. لكن خالد ظل متمسكا بحبه صابرا على رفض ندى له منتظرا اللحظة التى يضمها إلى صدره..

* * *

لا تتذكر ندى كيف بدأ هذا.. لكنها كانت تقف على سرير الخالة منال ممسكة بكتف أمل التى رمت برأسها على صدر والدتها.. تحتضنها.. تقبل يديها ورأسها ،وتتوسل لها ان تظل معهم وألا تتركهم.. ونهلة تقف على رأس منال ممسكة بيدها وتبكى فى حرقة كبيرة.. ماتت منال.. وأحكمت ندى زراعيها حول جسد أمل وهى تهز رأسها فى عنف ودمعها يتطاير حول وجهها فى جنون.. ماتت دون أن تحقق أمنيتها الأخيرة وتحضر زفاف ابنتها الوحيدة.. ماتت بعد أن أودعتها أمانه فى يد نهلة وأوصتها عليها.. بكاها كل من عرفها حتى الشجرة الكبيرة بكتها وانحنت أغصانها بحلول الخريف فى حزن كبير.. رحلت منال وتركت فراغا كبيرا فى حياة كريم وكمال ونهلة.. أما أمل فقد بهتت روحها وظلت ابتسامتها ناقصة بقية عمرها بالرغم من وجود عماد وعائلته الذين حاولوا أن يخففوا كثيرا من ألم أمل وعذابها بفقدان أمها، ندى أيضا فقدت أما ثانية كانت تعاملها كابنتها دائما.. هى بحاجة إلى من تمسح أحزانها بكفيه لكن محمود ازداد فى بعده عنها يوم العزاء حاولت أن تحادثه فلم يدعها تصل إليه وترك المكان رامقا إياها بنظرة باردة أضافت إلى ألمها جبالا من الاحزان والدموع..

كانت تذهب إلى الاوبرا وجيوب قلبها فارغة.. لا تجد من يخفف عنها..

الجميع يعيشون فى حزن كبير، حتى أمها لم تفهم سبب خصامها مع محمود ،ولم تجبرها على الكلام بل تركتها على راحتها، وأمل انشغلت مع عماد خطيبها يحاول التخفيف عنها واصطحابها مرات عديدة، كانت تطلب من ندى أحيانا أن تأتى معهما وتخبرها بأن عماد يرحب بذلك ،لكن ندى اعتذرت لها فلا تريد أن تضايقهما بحجة أنها مشغولة فى الأوبرا..

* * *

وفى أحد الأيام بعد خروجها من الأوبرا.. أصرت عليها زميلتها منى أن تقبل دعوتها لتناول الغداء سويا بعد ما لاحظت حزن ندى الدائم ،ولم تعط لها فرصة للرفض أمام إلحاحها الشديد ،وصعدا سويا إلى سيارة منى الجيب العالية، منى فتاة لطيفة حقا.. طيبة القلب.. دائمة الضحك والابتسام.. لم ترها يوما حزينة تعيش حياتها بحرية كبيرة.. دخلت الفتاتان إلى مطعم راق، وطلبت منى البيتزا وعصير الفراولة الطازج.. التفتت ندى ورائها لتجد محمود ممسكا بيد فتاة أخرى يتناولان ساندوتشين من البيرجر سويا.. كم كان ذلك قاسيا على قلبها الصغير !! كم تمنت لو أن الأرض ابتلعتها فلم ترى محمود يبادل فتاة غيرها نظرات الحب والاعجاب.. كان حب محمود لها مطلقا وأكثر شىء أكيد تعرفه.. نظرت منى خلفها فتفاجأت هى الأخرى.. ظلت تلوم نفسها.. فهى من أصرت على ندى ،وأحضرتها هنا لتكسر قلبها وتضيف إليه حزنا جديدا .. لا تعرف الآن كيف تتصرف حاولت خلق حديث جديد لكن عيون ندى المملوءة بالدموع أجبرتها على التوقف .. وفى تلك اللحظة انتبهت الفتاة بجانب محمود إلى نظرات ندى..

فلفتت انتباهه وتوجه نظره ناحية ندى وصديقتها.. قام محمود من مجلسه ليلحق ب (ندى) التى أسرعت فى الذهاب خارج المطعم وسط ذهول كبير من صديقته الجديدة.. حاول محمود ان يوقف ندى ممسكا بيدها فأبعدته عنها.. حاول أن يشرح لها انهما مجرد زملاء فى العمل بالمستشفى الجديد.. لم تسمعه ندى.. وهل هو سمعها عندما حاولت الاعتذار منه.. استقلت التاكسى، وتركت خلفها محمود ينظر بعينين دامعتين.. لعله أدرك حقا خطأه الحقيقى.. وعادت ندى لتنام فى أحضان نهلة وأمل وتروى لهما ما حدث من محمود وسط دموعها المنهمرة وكلام نهلة بانها لم تكن تريده لها منذ البداية بسبب الفروق المادية بينهما ،لكنها اعتقدت انه شاب طموح مجتهد سيعرف قيمة ابنتها ،ويقدر الجوهرة الثمينة التى وهبوها إياه.. حاولت أمل الدفاع عنه قليلا.. ربما كان مظلوما.. حتىانقضت الليلة وغلب النعاس دموعها.

* * *

لم يصدق خالد أذنيه عندما سمع ندى تطلب منه إذا ما كان عرضه لتناول الغداء موجودا.. رقصت عيناه من الفرح وشدت روحه بأنغام السعادة على أوتار قلبه.. لا يعلم سبب تغييرها ولم يسألها، وحده كان مؤمنا أنها ستأتى له يوما ،وها قد جاءت، جلس بجوارها فى مطعم Sequoia الراقى ذى طلة مميزة على النيل وأرضيته المغطاة بخشب البليكار، وإضاءته الخافتة والطاولات المنخفضة.. تأملت ندى المكان حولها.. كان كل شىء رائعا والمكان هادئ جدا.. لم تدخل فى حياتها مكانا فخما كهذا.. هى الآن

بصحبة خالد.. يحقق بعصاه السحرية كل ما تمناه قلبها وحلم به عقلها، فقط تخجل من نظراته لها وتحديقه بها باستمرار.. لا يلتفت مطلقا كأنهما وحدهما تماما فى هذا العالم.. استطاع خالد أن يكسب ثقة قلبها بسهولة، وأن يقنعها بحبه وصدق مشاعره، فقد انتظر طويلا حتى أثبت ذلك.. لكنه الصبر وحده من يأتى بالمستحيلات.

* * *

بينما كانت أسماء تغسل أطباق الغداء فى المطبخ بالرغم من آلام حملها وهى فى شهرها السابع.. سمعت صوت حكمت.. يأتيها جافا قويا :

أسمااء.. بت يا أسمااء تعالى شوفى الباب بيخبط.. بسرعة يا غبية.. ولا ليكى أى لازمة عمرك ما عملتى حاجة صح فى حياتك.. حتى كوباية القهوة أقلك سادة تجيبيهالى مظبوطة.

خرجت أسماء من المطبخ بعد أن جففت يديها.. وجدت حكمت وقد مددت رجليها المتسخة على مفارش الكنبة الجديدة أمام التلفاز.. وأمامها كوب القهوة البارده فهى من طلبتها مظبوطة لكن أعراض الزهايمر جعلتها تنسى.. نظرت إليها أسماء بنفاذ صبر وقلفة حيلة، ثم تتركها لتفتح الباب.. تفاجأ بصديقتيها أمل وندى يحملان لها الهدايا لابنها المنتظر، رحبت أسماء بهما كثيرا وفرحت روحها برؤيتهم.. أدخلتهم حيث تجلس الخالة حكمت التى صاحت بهمفى ود مصطنع :

- أهلا وسهلا بالأبلة ندى وألأبلة منال.

فقاطعتها أسماء : أمل يا ماما حكمت.. اتفضلوا يا بنات معلش ثوانى أغير هدومى وأقعد معاكم.

وتركتهم أسماء لتتبادل الفتاتان النظرات.. كيف تعيش أسماء مع هذه السيدة المسنة ولسانها البذىء ،وهى فى شهور حملها الأخيرة تحتاج الراحة والاهتمام.. أقبلت عليهم أسماء، ودخلت حكمت لتمدد جسدها على سريرها وأغلقت الباب خلفها.

جلست الفتيات الثلاثة يستمعون إلى حكايات بعضهم.. شكت أسماء لهم من معاملة زوجها لها السيئة برغم ما تتحمله من مشاق مسئولية رعاية البيت وخدمة أمه وأعراض الحمل، ووجعه، وثقل بطنها المتزايد مع الوقت.. لكنها راضية فهذا قدرها.. وانتظارها لذلك المولود يخفف وطأة حزنها.. أما أمل فحكت لهم عن عماد وعن أخلاقه الطيبة وحرصه الدائم على راحتها، وكيف يعاملها أهله معاملة طيبة.. ثم انتقلوا بالحديث عن محمود وندمه ومحاولاته الكثيرة للاعتذار من ندى وهى ما زالت ترفض مصالحته وتأبى دون الرجوع إليه، ونصحتها أمل بأنها ستندم.. محمود يحبها.. لا يجب أن نعلق المشانق لأخطاء من نحب علينا أن نتعلم كيف نسامحهم.. خالد ليس حقيقة يجب أن تصحو ندى من أحلامها.

* * *

اعتاد خالد أن ينهى عمله فى الشركة باكرا، ويذهب إلى ندى ويدعوها لتناول الغداء سويا.. ثم يوصلها إلى محطة الميترو.. كم ألح عليها أن يوصلها إلى المنزل وأن يأتى ليقابل والدها ويخطبها منه.. فأمه -عايده

هانم – موافقة وترحب بذلك كثيرا ووعدته بأن تقنع والده أيضا.. واليوم بعثت لها هدية معه قدمها إليها أثناء وجودهما فى مطعم (نايل مكسيم) حيث تناولا ألذ الأطباق الأوروبية.. كانت ندى تحكى له عن أحلامها فى رؤية باريس والتحاقها بالكونسيرفتوار هناك.. أما هو فيحكى لها عن دراسته وعن متحف اللوفر وبرج إيفل ونهر السين الذى لا يقل جمالا عن نهر النيل العظيم.. كانت تستمع لحكاياته فى اعجاب وانبهار.. خالد شخص واثق فى نفسه متواضعا يعلم متى يتكلم وأين ينهى الكلام.. يعامل الجميع ببساطة وعدم تكلف تجعله يفوز باحترام كل من يعرفه..

ومع مرور الأيام تزايد حب خالد فى قلبها كأنها لم تحب أبدا.. نسيت محمود.. كانت ميرال محقة.. حب خالد مختلف تماما عن مشاعرها اتجاه محمود.. لقد علمها خالد كيف تحب.. كيف تصبر.. كيف تفرح.. كيف تعشق بجنون..

أمام المحطة توقفت سيارة خالد.. تمنت لو توقف الزمن، واختفى الناس لتدوم السعادة الكبيرة بداخل قلبها.. لكن غالبا تعقب اللحظات الأكثر سعادة لحظات أكثر ألما ووجعا.

نزلت ندى من السيارة، ولحقها خالد وأمسك يديها بدفء وحنان محتضنا عينيها.. سمعت صوتا تعرفه جيدا : ندى.. فالتفتت ندى إلى مصدر الصوت المنادى خلفها لتجد والدها يصرخ بها غاضبا.. تزايدت نبضات قلبها حتى كانت أعلى من صوت أنفاسها المتلاحقة.. نظر خالد متعجبا.. كانت أول مرة يرى فيها الدكتور كمال.. تركت ندى يد خالد، وجرت باتجاه

أبيها الذى نظر إليها نظرة قاسية.. رأى الدكتور كمال العقد الثمين – هدية والدة خالد – على رقبتها فانتزعه بقوة ورماه بعيدا قائلا :

يا خسارة يا ندى.. عملتى كده عشان العقد ده.. دلوقتى عرفت سبب بعدك عن محمود.. فين الأخلاق والتربية والقرآن.. ياريتنى ما خلفتك.. ياريتنا فضلنا من غير أولاد.. خنتى ثقتى فيكى وطعنتينى فى ضهرى.

كانت كلمات الدكتور كمال تنزل على مسامعها كريح صرصر عاتية.. لم تقدر على الكلام بل مشت بجواره تنظر إلى موضع تناقل أقدامها المتثاقلة فى غم وحزن كبيرين.. طوال الطريق ظل والدها ينهرها ،ويصرخ فيها، وهى صامتة حزينة.. حتى وصلا إلى منزلهم ،ووسط علامات الاستفهام والتعجب على وجه نهلة دخلت ندى مسرعة إلى غرفتها لتدفن وجهها فى وسادتها وتشرع فى بكاء طويل حتى غلبها النعاس.

* * *

الفصل الخامس

مضت الأيام وندى تواصل عقوبتها بالحبس فى بيتها.. وحدها أمل تأتى لزيارتها، وتذهب مسرعة قبل أن يأتى عمها كمال، فيغضب لعدم تنفيذها لأوامره بالامتناع عن زيارة ندى.. حاولت ندى الحديث مع أبيها فرفض ،ولم يدع لها فرصة أبدا.. كانت تغرق فى حزنها ودموعها على صدر أمها التى عاتبتها كثيرا على كذبها عليهم ،وإخفائها موضوع الحفلة وخداعها لهم ،وحكت لها كيف وبّخ كمال محمود كثيرا على مشاركته لها فى الكذب.. لقد ضاعت ثقته تماما.. إنه يسير مهموما لا يتقبل فكرة أن ابنته الصغيرة خدعته وكذبت عليه ،وكررت كذبها مرارا لتتجول مع ذلك الشاب الغنى.. فى قرارة نفسه يدرك قيم ابنته ومبادئها التى أنشأها عليها.. لكنه يلومها على الكذب وإخفاء الحقيقة عليه..

ومنذ ذلك اليوم وخالد يحاول رؤية ندى التى منعته من المجىء إلىها ،وأبوها فى قمة ثورته وغضبه.. كانت تتكلم معاه خلال هاتف أمل بعد ان أخذ والدها هاتفها.. فجاء خالد إلى الصيدلية التى تعمل بها أمل ،وأعطاها هاتفا جديدا كى توصله إلى ندى.. لكن الدكتور كمال اكتشف وجود الهاتف لاحقا ،ومنع زيارة أمل نهائيا لهم، فكانت تنزل إليها الخاله نهلة تجلس معها حتى مجىء كريم بك من عمله وتصعد لشقتهم.

لم يجد خالد أمامه إلا مواجهة والدها والحديث معه.. فذهب إلى جامعة القاهرة ،وهناك التقى به بعد انتهائه من إلقاء المحاضرة فى كلية العلوم.. وقف خالد أمام الدكتور كمال فى مكتبه يطلب الحديث معه فى أدب جم.. بدا دكتور كمال هادئا، ورمقه بنظرة سريعه.. وبعد أن جلس على مكتبه سمح لخالد بالجلوس.. وهنا بدأ خالد يعرفه بنفسه وبدرجته العلمية، ونجاحه فى حياته العملية ،وشرح له كيف قابل ابنته، وما وجده فيها من أخلاق عالية جعلته يقع فى حبها ويرغب بزواجها ،وأخذ يبرهن على صدق مشاعره وجديته فى الارتباط من ابنته.. وحدثه عن أمه وحبها وإعجابها بندى وتمنيها زوجة لابنها الوحيد.. ثم طلب منه تحديد موعدا ليأتى لخطبتها هو ووالدته.

عندها تحدث الدكتور كمال ،وخرج من صمته متسائلا عن والده.. صمت خالد برهة محاولا تفادى النظر إلى وجه الدكتور كمال قبل أن يخبره أن والده غير موافق على هذا الزواج بحسب حساباته الشخصية.. لكنه مهندس ناجح يستطيع الاعتماد على نفسه بدون مساعدة والده.. فوقف الدكتور كمال من مجلسه معلنا انتهاء المقابلة، وأخبره بعدم موافقته على إعطائه يد ابنته.. كما سيظل يقول لا والف لا على قدر ما يستطيع قولها.. خرج خالد حزينا، منكس الرأس.. خائب الأمل.. لا يدرى ماذا يفعل !

* * *

جاءت أسماء لتزور ندى فى بيتها.. فلم يستطع أن يرفض الدكتور كمال طلبها.. أسماء فتاة مسكينة تعانى من زوجها وأمه ما يزيد من الآم حملها..

obeikan.com

استقبلتها ندى فى غرفتها بحب ولهفة كبيرة، وأسماء تدفع بطنها المتكورة أمامها فأجلستها بجانبها قائلة :

ياااه وحشتينى يا أسماء.. بقه كده متسأليش عليا.. وأنا فى الإقامة الجبرية دى.. ولا شاغلك النونو عننا ! أمال لما يشرف بسلامته.. مش هنعرف نشوفك بقه !

نظرت أسماء إلى ندى بعد أن التقطت أنفاسها، وسألتها عن حالها ثم مدت يدها إليها، وأعطتها هاتفا صغيرا، وحكت لها كيف جاءت أمل إلى حسام ،وترجته أن يسمح لها بزيارة ندى.. ثم قالت :

- خالد اتقدم لأبوكى وعمو كمال طرده.. أمل عاوزاكى تكلمي خالد.. هو محتاج يسمع صوتك يطمن عليكى.. بس هاخده معايا عشان مش ناقصة مشاكل.. كفاية اللى أنا فيه.

- عارفة يا أسماء.. ماما حكتلى.. خالد قال لبابا إنه هييجى يتقدملى مع عايدة هانم وإن باباه مش موافق.. عشان كدة بابا ازداد فى رفضه.. بابا رافض يسمعنى.. مبقتش عارفه إيه اللى هيحصل !!

- خالد شاريكى أوى مش زى محمود اللى من أول موقف اتخلى عنك.. خدى اللى يحبك أوعى تغلطى غلطتى.. شوفى يا ندى.. دراعى كله كدمات، وركزى فوق حاجبى كده..

نظرت ندى بعد أن خلعت أسماء نقابها الذى أرغمها حسام على ارتدائه.. بعد أن اتهمها بعلاقة مع بائع الأنابيب.. كان يوبخها ويهينها كلما رآها

تتحدث مع أحد حتى لو كان عم أمين بواب العمارة.. لكن هذه المرة رأت كدمة زرقاء أعلى جبينها، ورأت فى جسدها علامات وآثار ضرب متعددة.. استشاطت ندى غضبا، وغلى الدم فى عروقها، وأخذت تسب حسام وأمه، وغضبت من أسماء وسألتها ما الذى يجبرها على تحمل الضرب والإهانة ؟ لماذا لا تعود إلى بيت والدها وتخبرهم بما تعانيه.. قاطعتها أسماء بأن منزل أبيها أكثر ظلما وقهرا.. خلال الزيارة الأخيرة وجدت أمها مريضة، وأبوها رافض أن يعالجها متحججا بقلة النقود،وكثرة المصاريف.. بينما اشترى له علاجا غاليا فهو يرى أنه يتعب كثيرا فى المحل وهى تجلس فى البيت لا قيمة لها.. انهمرت دموع أسماء وهى تشكو حال أمها وهى لا تستطيع فعل شىء لها.. ثم تذكرت أمل واقتراب ميعاد فرحها على عماد..

تناولت ندى التليفون، وتحدثت إلى أمل ،واطمأنت الصديقتان على بعضهما البعض.. حكت لها أمل عن رغبة محمود فى السفر للعمل فى بلد عربية، وعن مقابلة خالد مع عماد خطيبها، وإعجاب عماد بشخصية خالد.. وطمأنتها أن خالد سيحضر فرحهما وستتمكن من رؤيته قريبا.. تهلل وجه ندى فرحا بكلام امل عن خالد، وأنهت معها الاتصال، وسارعت بطلب رقم خالد الذى طار عقله عندما جاءه صوت ندى على الهاتف نغما يعزف على أوتار روحه المتهالكة من أثر فراقها.. حكى لها كيف تحدث مع والدها ،وكيف حاول بعدها أن يتكلم معه بينما استمر الدكتور كمال على نفس موقفه، إلا أنه لم ييأس، وسيظل يظهر أمامه كلما استطاع.. حتى يقنعه به ويتقدم لخطبتها كما أرادت.. ودعته سريعا بعد أن طالبتها أسماء بضرورة

قفل الهاتف.. دخلت الخاله نهلة، وأخبرت أسماء بأن زوجها ينتظرها أمام الباب ويطالبها بالإسراع.. ودعت أسماء ندى وأخذت الهاتف الصغير، وارتدت نقابها، وخرجت مسرعة ،وجدت حسام أمام الباب وعندما رآها ألقى التحية على الدكتور كمال وزوجته واستأذن منهما وأخذها إلى منزله.

* * *

كانت الخاله فاطمة تراقب حال ابنها وحزنه وتوتره جيدا.. وكلما سألته لا يجيبها موضحا أنه بخير لكن سنة الامتياز مرهقة جدا، وعمله فى المستشفى الخاص يتطلب مجهودا كبيرا.. أخبرها أنه يريد هذا العمل الإضافى ليتعلم أكثر ويثقل معرفته.. فمهنة الطب تحتاج الممارسة والخبرة بجانب الدراسة النظرية، كما أنه بدأ يجنى المال، ويساعد فى مصاريف البيت.. لكن قلب الأم وحده يدرك حزن ولدها وألمه بسبب مشكلته مع ندى تلك الفتاة الغريبة التى تغيرت أحوالها فجأة ومحمود صامت لا يتحدث عنها..

وفى صباح أحد الأيام دخلت فاطمة إلى غرفة محمود لتوقظه، فتفاجأت برائحة السجائر المحترقة التى أثارت سعالها.. أسرعت بفتح النافذة فوجدت زجاجتين من البيرة الرخيصة بجوار النافذة.. خبأهما ابنها حتى يستطيع التخلص منهما فور استيقاظه.. فأمسكت إحداها وألقتها على مرمى زراعها لتنكسر الزجاجة إلى قطع صغيرة متناثرة.. استيقظ محمود على صوت ارتطام الزجاجة وتناثر أجزائها فى أركان الغرفة، وجاءت داليا مسرعة ووجدت أمهما تصرخ خلف دموعها، وتلطم على وجهها.. حاولت

تهدئتها بينما نهض محمود متداركا الموقف.. حاول أن يوضح لها مبررا بأنها اساءت الفهم لكنها صفعته على وجهه وبصقت على الأرض قائلة :

اتفو على تربيتك.. ياريتنى ما ربّيت.. وكبّرت.. وعلمت.. عشان أشوفك بتضيع نفسك عشان واحده بتجرى وراها.. يا خسارة نور عنيا اللى راح وضيعته على تعليمك انت وأختك.. كل ليلة باصلى وادعى ربنا.. يخليلى الفاضل من ضى عينى لعند ما تتخرج.. وتشتغل وتبقى دكتور قد الدنيا تعوضنى على تعبى وشقايا وكل اللى راح منى.

فصاح محمود أنه يحب ندى ولا يستطيع نسيانها، وندى لا تريد أن تسامحه.. كيف سيتابع حياته بدونها ؟ إنه لا يستطيع التنفس دون أن يردد اسمها.. ندى نبض قلبه وحلم حياته بل حياته كلها.

لتستمر الام فى صراخها ودعائها :

ياريتنى ما خلفتك.. ياريتنى مت قبل ما أشوفك بالضعف ده.. يا خيبة أملى فيك.. كنت بتقلى امبارح إنك هتعوضنى على تعبى معاكم.. يا ترى هتدفعلى كام ؟ نور عنيا يساوى كام عندك يا محمود..

ظلت فاطمة تبكى وتولول، وبجانبها ابنتها تبكى ،وتحاول تهدئتها.. أما محمود فاندفع خارج المنزل، وغلق الباب وراءه بقوة.. استمر صوت بكاء أمه يتردد صداه فى أذنيه، وجلس على عتبة البيت واضعا رأسه بين كفيه مطلقا العنان لنفسه فى البكاء.

* * *

obeikan.com

مرت الأيـام وجاء حفل زفاف أمـل.. وفى قاعة زمـردة بوسط القاهرة.. كانت تجلس العروس بثوبها الأبيض الرقيق المصنوع من الدانتيل الأبيض المطرز المشغول فى خفة وأناقة، ويمتد ذيل ثوب عرسها خلف ظهرها فى دائرة كبيرة، يصل طولها إلى متر ونصف، وعلى رأسها ارتدت حجابا أبيضا صغيرا.. يكشف عن رقبتها وفوقه تاج من اللؤلؤ وبعض قطع الماس التى تبرق فى عيون كل من حولها وطرحتها البيضاء متوسطة الطول تقف عند منتصف ظهرها لتنافس جمال خصرها الضيق المثير، وزراعيها تمسك بزراعى عماد وعيناها المشروطتان تطلقان ابتسامات صغيرة عديدة تتجولان وسط الحضور، وكفها الأبيض بين أصابع عماد.. كان والدها كريم بك أنيقا وفى قمة سعادته، وبجانبه الدكتور كمال وزوجته نهلة هانم ينتقلان مع كريم بك بين طاولات المدعوين، يرحبون بهم، وكأن أمل ابنتهم.. كل المدعوين والأقارب يعرفون الدكتور كمال وعائلته.. فكانوا يصافحونه ويهنأونه كأنه والد أمل أو عمها.

وإلى جانب عماد كان أقاربه وأصدقاؤه ،ومن بينهم (خالد) الذى كان يبحث فى المدعويين عن ساندريلا، فوجدها تقف خلف العروس ممسكة بطرف ثوبها.. كانت ترتدى ثوبا قصيرا يقف تحت ركبتها بقليل.. لونه أزرقا داكنا مكشوف الصدر عارى الظهر، وشعرها البنى الناعم كان مجموعا فوق رأسها فى شينيوه جميل.. ظل محدقا بها حتى أحست بوجوده ورفعت عينيها له لترسل سلامهما فى شوق بالغ ولهفة كبيرة.

كان الزفاف رائعا.. رقصت أمل مع عماد ،ورقص معهما أصدقاؤهما..

واستغل خالد انشغال والد ندى بالمدعوين، فأشار إليها لتتبعه ،ويتسللا بين الجميع خارجين من القاعة.. وقف الاثنان فى الحديقة يتذكران أول رقصة لهما تحت ضوء القمر.. القت ندى بنفسها بين زراعى خالد الذى ضمها إلى صدره فى شوق وحب.. ومن بعيد رآهما محمود بوضوح مما جعله يغادر الفرح مسرعا..

وفى نهاية الليلة وقفت نهلة تبكى، ومن جانبها كريم وكمال وهم يودعون ابنتهم أمل العروس الجميلة، ويتذكرون منال ويتمنون لو شهدت معهم هذه اللحظة .. كان الجميع يتعجلون الرحيل إلا ندى.. كانت وحدها تتوسل للزمن أن يقف.. تستجدى اللحظات أن تطول.. لا تريد أن تعود إلى منزلها ولا تجد أمل بجوارها كما أنها لا تريد ترك خالد الذى لم يتركها إلا بعد أن وعدته أن تفعل شيئا ما ،وتتحدث مع أباها من جديد وتحاول إقناعه..

* * *

جلس محمود بجانب مصطفى على قهوة والده بعد أن انتصف الليل، وأصبح الشارع هادئا ،وخيّم الصمت على المكان.. أخبره مصطفى بأن الخالة فاطمة لديها الحق فى كل ما قالته.. لا يجب أن يضيع الانسان نفسه وراء سراب حلم، فقصة الحب بينه وبين ندى تعفن جسدها ولم تعد موجودة... انتهت.. قالها محمود لنفسه كثيرا قبل أن يودع صاحبه ويذهب إلى منزله حيث وجد امه ما زالت مستيقظه تصلى، وتدعو الله ان يعيد ولدها إليها.. فمنذ ذلك اليوم المشئوم لم تره.. انتهت من صلاتها، فسمعت صوت الباب، وعندما فتحته.. وجدت محمود أمامها وقد اغرورقت

عيناه بالدموع فارتمى فى حضنها، وقبّل رأسها ويديها معتذرا ،ووعدها بأنه سيتغير ،وسيكون ابنها الذى حلمت دائما أن يكون عليه.. فضمته الأم الحنون، وجاءت أخته على صوتهما وعيناها تنهمر بدموع الفرحة لرؤية ذاك المشهد الرائع..

* * *

منذ رجوعهم من زفاف أمل وندى تحاول الكلام مع أبيها بخصوص خالد ،وهو ما زال مصرا على رأيه ورفضه النقاش.. بالرغم من محاولات خالد المتكررة للحديث معه.. أدركت أنها تخوض معركة أبدية المساء ، فيأست ندى من إقناع والدها ووقعت فريسة الإحباط وركنت إلى الاستسلام وامتنعت عن الطعام.. لم تجد وسيلة أمام عناد والدها غير أن تمتنع عن الأكل.. عله يشعر بإصرارها وتمسكها بحبها.. لكن الأب المجروح كبرياؤه بكذب ابنته واصل رفضه على الرغم من دموع نهلة المتوسلة له كى لا تفقد ابنتهما الوحيدة..

جاءت عايدة هانم.. السيدة الوقورة.. التى تفاجأ بوجودها الدكتور كمال فى بيته بعد عودته من الجامعة، وسعد بحوارها اللطيف مع زوجته وحكايتها عن ولادة خالد وتربيته، واعتذارها عن موقف زوجها، ومدحها لمقدرة ابنها على خوض الحياة وحده مستقلا عن والده.. استقبلتها نهلة بحفاوة وترحيب كبيرين، وعاملها الدكتور كمال باحترام شديد، ووعدها بأنه سيعيد التفكير فى رأيه عن خالد ،غير أن رأيه فى زواج ابنته لن يتغير فى ظل هذه الظروف.

× × ×

دخلت داليا غرفتها بعد عودتها من العمل فى مدرسة الحى، وبدلت ملابسها سريعا، ونظرت فى المرآه على تلك الخطوط والتجاعيد فى جبهتها ،واسمرار جفونها وتهدل عينيها، وجفاف بشرتها.. ثم نظرت إلى جسدها وتحسسته بأناملها.. إن جسدها جاف.. كبشرتها.. كأرض قاحلة عطشى لماء الحياة.. لماذا تأخرت فى الزواج ؟ تُرى ما السبب ؟ هل هو قصة هروب والدها التى يعرفها أهل الحى وأخفتها عنهم والدتها حيث أخبرت الجميع بانه سافر العراق ومات هناك ؟ هل تُؤخذ بذنب لم ترتكبه ؟ هل نظرة الناس لها أنها ابنة خياطة بسيطة ؟ هل فقرهم وقلة سعة يدهم ؟ هل هى قبيحة وكبرت فى العمر حتى جاوزت عقدها الثالث بسنتين !! لكنها كانت يوما ما شابة حسناء وصبية جميلة ؟ لماذا لا تجد من يبادلها الحب ؟ إنها حمقاء كبيرة.. قالتها لنفسها، وهى تكمل ارتداء ملابسها خارجة إلى المطبخ لتساعد أمها فى تجهيز طعام العشاء.. التى ما إن رأتها حتى قبلت عينيها بابتسامة كبيرة، وطلبت منها إخراج صينية الفراخ المشوية من الفرن فمحمود طلبها منها هذا الصباح ،وهى تريد تلبية كل مطالبه، وتجهيز كل أصناف الطعام التى يفضلها قبل سفره القريب للعمل فى بلد عربية.

* * *

اصطحب الدكتور كمال الطبيب خارج غرفة ابنته.. بعد أن أوصى بعلاج لها وبالاهتمام بتغذيتها بعد أن فقدت وعيها هذا الصباح.. ودخلت نهلة

المطبخ لإعداد وجبة سريعة لندى التى وعدت الطبيب بانها ستأكل.. كانت هادئة تنظر نحو النافذة فى صمت عميق عندما دخل والدها ،وجلس على حافة السرير بالقرب من رأسها ناظرا إلى صورة لندى وهى فى السادسة من عمرها تحتضن كلبها الذى مات منذ سنوات.. أمسك الصورة بين يديه قائلا :

لما كنتى صغيرة.. كنتى طفلة عنيدة جدا.. مكناش نقدر نقنعك بحاجة مش عاوزاها.. والصفة دى كانت بتخوفنى عليكى أكتر ومع الأيام لاحظت إنك بتشبهينى فى حاجات كتيرة.. لما حد بيعارضك بتدافعى عن رأيك وتتمسكى بيه وتقفى فى وشه لعند ما تثبتى العكس.. انتى من لحمى ودمى.. أول فرحة فى عمرى.. إذا مقدرتش أحميكى أو أقف جنبك إزاى أكون أبوكى.. وعشان كدة أنا وانتى متعلقين ببعض.. لما كنتى تقعى وتتجرحى كنتى تجيبى المرهم وتجرى عليا وتقليلى أدهنلى المرهم يا بابا.. وبعد ما أدهنه كنت تخلينى أنفخ عليه عشان يشفى بسرعة.. ولما ضرب الزلزال مصر سنة ١٩٩٢ جريتى يومها عليا وعيطتى فى حضنى ومسكتى خدودى بإيديكى الصغيرة وقلتيلى اوعى تسيبنى يا بابا.. انتى قطعة من روحى.. طول الفترة اللى فاتت كنت باتعذب أكتر منك.. نظرة الحزن واللوم فى عنيكى كانت رصاصة فقلبى.. لكن خوفى عليكى منعنى انى أسيبك.. الحب شىء جميل لكن وجعه وألمه اكبر بكتير وانتى عصفورة جناحك صغير ميتحملش القسوة والوجع.. وانتى كنتى طايرة ورا قلبك مغمضة عنيكى وموقفة تفكيرك..

استجمعت ندى نفسها واعتدلت فى جلستها لتقول فى صوت منخفض :

أنا يا بابا لقيت فى خالد الحب الصادق وتمسكه وإخلاصه ليا، أثبتلى ده زى ما قدر يثبته طول الفترة اللى فاتت ليكم.. أنا باعتذر لحضرتك لأنى كدبت عليكم كلكم بس ده لانك مكنتش مدينى فرصة أدافع عن رأيى ورغبتى.. قلقك وخوفك الكبير عليا خلانى أخاف أصارحك واضطريت اخبى وأكدب.. انا آسفة يا بابا.. أنا غلطت.

فضمها كمال إلى صدره وقبل رأسها بينما انهمرت دموعها فمسحها بيده ونظر فى عينيها قائلا : خالد ولد ملتزم وصادق وشاب محترم وأنا وافقت إنه ييجى يتقدملك مع عايدة هانم وكلمته من شوية وعزمتهم بكره على العشا..

انتفضت ندى من تحت غطاء السرير لتقبل وجه أبيها وتحضن أمها التى اندهشت لما يحدث.. ليقول كمال فى تهكم ممازحا نهلة :

خليلك بقه شوربة الخضار بتاعت العيانين دى اشربيها، أنا واخد بنتى ونازلين نتغدى تحبى تيجى معانا !! يلا أوام يا ندى نلبس بسرعة..

خرج كمال إلى الصالة وضحكت ندى لتخبر والدتها بما أخبرها به والدها عن خالد، فحضنت الأم الحنون ابنتها وساعدتها على ارتداء ملابسها وذهبوا جميعهم لتناول الغداء فى الخارج.

* * *

مضت أربعة أيام على زيارة خالد وأمه، فاستأذن خالد من الدكتور كمال أن

يأخذ ندى ليعزمها على الغداء فأذن له.. أنهت ندى ارتداء ملابسها لتنظر فى ساعتها الذهبية هدية عيد ميلادها الثانى والعشرين.. لقد تأخرت يجب أن تسرع لكى لا تدع خالد ينتظرها أكثر من ذلك ،وعند بداية الشارع، وفور نزولها هبت نسمة عليلة لتلفح وجهها ولتطيح بخصلات شعرها عاليا إلى الوراء.. أغمضت عينيها وأخذت نفسا عميقا ثم تابعت سيرها.. وجدت محمود أمامها عائدا إلى منزله.. اقترب منها وسألها عن حالها ثم أخبرها بموضوع سفره القريب للعمل فى إحدى البلاد العربية.. فسألته باستغراب :

– ليه مستعجل على موضوع السفر.. تقدر تاخد الماستر وتحدد تخصصك وبعدها تسافر..

– أنا عاوز أسافر محتاج أبعد.. قالها محمود فى أسى.

تذكرت ندى ميرال وهى تقول نفس الجملة قبل سفرها.. لماذا يبعدون عنها واحدا تلو الآخر.. هى أيضا تتمنى لو تتزوج خالد وتسافر معه إلى باريس.. خالد ينتظرها يجب أن تذهب..

– انتى مبسوطة يا ندى ؟.. قالها محمود فى جدية تامة.. فنظرت ندى إلى السماء كانها تشكرها ،ثم عادت إلى محمود لتخبره بانها تعيش أجمل اوقات حياتها..

نظر محمود فى عينيها نظرة طويلة أخيرة ثم قال لها مبتسما : يكفينى أن تكونى سعيدة. ثم تركها ومضى فى طريقه يغالب دمعة غبية لاحت فى عينيه برغم ابتسامته المستمرة.. هل ظلم ندى أم هى من ظلمته ؟ لماذا

لم يعطها فرصة حين جاءته تعتذر منه ؟ لماذا عاملها بقسوة ؟ لماذا لم يثق بها ؟ لكن ما نفع هذه الأسئلة الآن ! فهو سيسافر بعد أسبوع تقريبا، ولن يرجع إلى هذا الحى مطلقا ؟

* * *

مرت الأيام وخالد لا يترك يوما دون أن يرى ندى، ولا ساعة دون ان يحادثها.. يسرق من الوقت اى لحظة يقضيها معها، مع خالد أحست ندى نفسها تولد من جديد فى حياة جديدة كان قلبه مسكنها وكانت عيناه عالمها الخاص الساحر.. تغيب فى تاملهما وتسافر بعيدا على جزر.. شواطئها من صخر ملون وحصى مسحور ورمال ذهبية.. إنه سحر الحب يكاد يذهب بعقلها الصغير..

تحدد موعد الخطبة، بعد ان استقل خالد عن العمل فى شركة والده واشترى شقة باسم ندى فى عمارة شاهقة الارتفاق على النيل واختاروا الأثاث معا.. ذهب خالد إلى الجواهرجى بصحبة والدته وندى وأمها ،واختاروا خاتم الخطوبة قبل الحفل بيومين.. وفى المساء جاءت أمل مع عماد لتحضر خطوبة ندى.. أمل حامل وعماد يخاف عليها فوّصلها بنفسه إلى بيت عمه كريم. وعاد إلى عمله فى العيادة وأخبرها بانه سياتى بعد غد ليحضر الخطوبة ويعودا معا إلى البيت.

كان يوم الخطوبة هادئا هدوء ما قبل العاصفة.. يومها اتصلت ندى ب خالد فأخبرها انه فى طريقه إلى الحلاق وسينتهى سريعا بعد أن يمر على أحد

أصداقه.. فهو لن يتأخر هو ووالدته.. أضيئت الانوار امام العمارة وفرح أهل الشارع لخطوبة ابنة الدكتور كمال الذى شاركهم دائما جميع مناسباتهم فى أفراحهم وأحزانهم.. ارتدت ندى الفستان الذى أهدته لها عايدة هانم.. الفستان من الشيفون الطويل لونه بنفسجى.. كانت تضع مكياجا خفيفا أضاف إلى ملامحها مسحة من الجمال الفائق الذى ذهب بعقل كل من رآها، وارتدت نهلة جوب سوداء قصيرة إلى الركبة وعليها بلوزة زرقاء رائعة وتركت شعرها مصففا بعناية لا يوجد فيه كسرة واحدة.. وجلس كريم بك إلى جوار الدكتور كمال يتقبلان التهانى من أهل الحى الطيبين، ومضى الوقت وندى تحاول التحدث مع خالد وهاتفه مغلق وهاتف عايدة هانم أيضا لا يجيب.. وأمل بجانبها تطمأنها بأنه سيأتى وتختلق الأعذار لغيابه.. بدأ المعازيم والمدعوون فى الانصراف معتذرين بسبب تأخر الوقت، وخيم التوتر والقلق على الجميع خالد لم يتصل ولا يرد عليهم.. أين خالد ؟ ماذا حدث له ؟ ذهب الجميع وبقيت أمل وعماد والعم كريم حتى انتصف الليل، فاستأذنوا ورجعوا إلى بيوتهم بعد أن ودعتها امل وحاولت التخفيف عنها، وأوصتها بالاتصال بها عند معرفة أى شىء جديد.. دخل والداها دون أن ينطقا بكلمة إلى غرفتهم وأطفأوا الانوار بعد ما تظاهرت ندى بالنوم، وطوال الليل ظلت بجوار النافذة تنظر إلى الشارع منتظرة وصول خالد لكنه لم يأتى..

ولن يأتى.. .

* * *

الفصل السادس

أفاقت ندى ووجدت نفسها فى المشفى، وكانت المحاليل التى يسكبونها فى عروقها هى ما تبقيها حية.. أيام طويلة مرت عليها فى ذلك المكان الذى وجدت نفسها فيه راقدة على السرير لم تنطق بحرف واحد وقد تركت الجميع يتحدثون جانبها ويتلون الدعوات والأمنيات بشفائها ويوجهون لها أسئلة لا نهاية لها، فلم تمنحهم إلا صمتها ودموعها حتى قرروا أنها فقدت عقلها أو قدرتها على النطق لهول الصدمة التى مرت بها، لطالما حاولت استرجاع ما حدث فى الأيام الماضية بدءا من يوم خطوبتها وسفر خالد.. تتذكر ذهابها إلى منزل حبيبها لتجده مقفلا يقف على بابه حارس أخبرها بأنهم سافروا جميعا بينما الفيلا خالية تماما.. كانت تسترجع ذكريات تلك الليلة حتى كادت تفقد عقلها أيضا.. وفى كل مرة كانت تجد ذات الحقيقة القاسية فى انتظارها : حبيبها خالد سافر بعيدا دون أن يودعها ولن يعود أبدا وسيكون عليها مواصلة الحياة بدونه.

حبيبها الذى كان يستعد للزواج منها فى أقرب وقت.. لم يعد موجودا ولن تراه ثانية ولن ترقص روحها مع روحه فى سماء الأوبرا، فهى لن تراه هناك مجددا ينصت لها بانبهار أثناء عزفها.. ولن تحمر وجنتاها خجلا مع همسات غزله الرقيقة.. لن تقضى لياليها تفكر به وتحلم باللحظة التى

ستلتقى فيها معه.. لن ترتوى بنظرات عينيه التى كانت تكفى لتبقيها حية بدلا من تلك المحاليل اللعينة التى أخبروها أنها إن لم تتناول بعض الطعام فسيواصلون سكبها فى عروقها لتبقيها على قيد الحياة.. وهى لم تكن تريد البقاء على قيد الحياة.

الحياة بالنسبة لها مع خالد - فى قربه - رائحته وأنفاسه.. همساته ونظراته، وعده لها بالزواج والذى لن يفى به أبدا، خالد سافر وهى الآن عليها أن تواصل بدونه وهذا ليس عدلا.. لو كانت تملك صوتها لطلبت منهم أن يتوقفوا عن حقنها بالمحاليل ليتركوها تموت.. ولو كانت تملك من الحياة ما يكفيها لتنتحر لفعلت دون لحظة تردد واحدة.. لكنها فقدت الرغبة فى كل شىء، وأى شىء، حتى الموت ذاته لم يعد ذا جدوى كما لم يعد لحياتها مبرر.

ظلت ندى على فراشها فى المشفى تفقد وزنها وعقلها تدريجيا بين دموع والديها ودعواتهم وتوسلاتهم، ومع الوقت قلت الزيارات وسكت والداها واكتفوا بالنظر إليها فى صمت بعد أن يأسوا من تحسن حالتها.. ليتركاها فريسة الوحدة والذكريات.. وذات مساء جلست أمل بجوارها تعيد على مسامعها ما كرروه مرارا وتكرارا ، ثم تابعت كلامها :

-خالد مش هيرجع تانى يا ندى.. دى الحقيقة الواضحة قدامنا زى الشمس، مش مهم دلوقتى غير إنك تتعلمى نسيانه.. صدقينى.. لو منسيتيش هتخسرى اللى أهم منه.

حدقت ندى في صديقتها الباكية بعينين اكتستا بالدموع دون أن تجيب ،وبرفق اقتربت أمل منها لتردف :

-دلوقتى كل اللى باطلبه منك إنك تفكرى فى بابا كمال وماما نهلة.. شوفى قهرتهم وحزنهم عليكى بيقتلهم فى اليوم كام مرة.. فكرى فينا شوية لو مش عشانك يبقى عشانهم.. أنا خايفة يجرى لحد فيهم حاجة بقالك شهر ونص.. احنا محتاجينك كفاية أنانية بقه.

انتفضت ندى أخيرا لتسترد صوتها وقدرتها على النطق، وهى تبكى بصوت عال بين زراعى أمل، ودخل والداها والطبيب ليطمئنوا عليها.. أمعنت النظر فيهم للحظات قبل أن تطلب منهم أخيرا بعض الطعام.. وفى غضون أيام قليلة عادت ندى إلى بيتها وعادت الحياة إلى أركانه مجددا.

* * *

مضت أربع سنوات، عاشتها ندى فى كنف والديها ورعايتهم وحنانهم محاولين التخفيف عنها.. لم يعد يُذكر اسم خالد مطلقا، كأنه ذهب مع الريح فى تلك السنة المشئومة، كان عمل ندى فى الأوبرا وعزفها على الكمان هو منفذها الوحيد لاستعادة الذكريات، ووجه خالد يلاحقها فى كل ركن ترنو إليه ، ومع تتابع الأيام والسنين ظلت ذكرى خالد بعيدة ربما استطاعت قليلا التظاهر أمام والديها بنسيانه، لكن قلبها كان يهتف باسمه بين كل نبضة وأخرى..

سافرت أمل مع عماد إلى لندن مع طفلتهما الصغيرة (منال).. تاركين فى

قلب ندى فراغا كبيرا وألما آخر لم يخمده سوى بعض الاتصالات والرسائل الالكترونية بينهما.

فتحت ندى جهازالكمبيوتر الخاص بها فى ذلك اليوم وقرأت رسالة من أمل، قالت سطورها :

أختى ندى وصديقتى الغالية وابنتى الثانية.. آآه لو تعلمين كم نفتقدك كثيرا أنا ومنال الصغيرة، كيف حالك ؟ أتمنى أن تكونى بأفضل حال.. أريد أن أزف إليك بشرى جديدة.. أنا حامل.. عماد سعيد جدا بهذا الخبر منذ الصباح.. يهتم بى ويدللنى كثيرا.. أدعو الله أن أراكى سعيدة فى بيت زوجك قريبا.. أخبرتنى ماما نهلة عن عنادك واستمرارك برفض الخطاب.. أعيدى التفكير ثانية فى أمر ذلك العريس المدعو صلاح.. إنه يعمل فى باريس مدينة الأحلام، ألا تتذكرين رغبتك الدائمة أن تكملى دراستك هناك.. أرجوك يا ندى لا تضيفى ألما جديدا وعذابا آخر إلينا جميعا، وتأكدى ان غايتنا هى سعادتك.

أغلقت ندى الرسالة دون أن ترد عليها، وغرقت فى تفكير عميق، لماذا يريد الجميع زواجها ! هل تتزوج الفتاة لمجرد أنها فتاة ؟ قطعة لحم تتقاذفها الاقدار ما بين منزل ابيها ومنزل زوجها !! أليس لها حق الحياة بناء على قناعاتها المستقلة ؟ لماذا يصرون عليها ؟ ألا يدركون أنها فقدت الرغبة منذ زمن فى أى شىء، وفقدت ثقتها فى الحياة نفسها !! لكن أمل على حق، فمنذ أربعة سنوات وغيمة الحزن لم تفارق سماء حياتهم.. والداها على حق.. هم يريدون ان يكملوا رسالتهم ويطمأنوا عليها فى بيت زوج

يسعدها، ويملأ حياة العجوزين بضحكات الأطفال االسعيدة.. فسارعت بالخروج حيث وجدت أباها يقرأ الجريدة كعادته، وبجانبه أمها تتناول كوب قهوتها المعتاد.. فجلست بجانبهم وأخبرتهم بموافقتها على مقابلة العريس الجديد.

* * *

جاء العريس متأخرا عن معاده بنصف ساعة، وعندما رن جرس الباب هرولت نهلة ومن ورائها كمال ليستقبلا العريس المنتظر، وبلهفة فتحت الباب فوجدت أمامها أبلة سعاد الناظرة.. وعندما رأت صلاح انعقد لسانها من الدهشة ووقفت دون دخوله متظاهرة بالترحيب به.. صلاح ذو بشرة سوداء، وعيناه جاحظتان، وأنفه أفطس كبير، وشفتاه غليظتان، وشعره مكوش فوق رأسه ويتدلى فى خصل ملتوية ،حتى جسده لم يكن مريحا فكرشه يتدلى أمامه، وقدماه رفيعتان كمسمارين صدأين، وأصابعه السمراء يضع فيهما خاتما كبيرامن الفضة .. ظل صلاح يتحدث فى تكبر واضح ،وغرور مصطنع عن عمله كصاحب مطعم كبير مشهور فى باريس، ومعرفته بالفرنسيين ومصاحبته لهم.

حاول كريم بك أن يلطف من حدة التوتر فى الجو.. حيث لاحظ الوجوم والقلق على الجميع، استأذنت ندى بالدخول ممسكة فى يدها صينية مملوءة بأكواب القهوة، وما إن وقعت عينا صلاح عليها حتى طار عقله من مكمنه.. إن الفتاة جميلة حقا كما وصفتها الخاطبة له، بل هى أجمل بكثير.. ظل محدقا لها حتى سمع صوت الدكتور كمال يسأله عن سبب تأخره فى الزواج

بالرغم من ثرائه ومقدرته المالية العالية.. فأخبره صلاح بزواجه الأول من ابنة عمه رباب، وطلاقها بعد ان أنجب طفلة منها، ومعيشتها مع والدته فى عزبة التسعين بالاسماعيلية، وعندما انتهى من كلامه الذى أثار غضب وحنق كل الحاضرين، قام الدكتور كمال من مجلسه ليعلن انتهاء الزيارة وأن طلب صلاح مرفوض فهو لن يقبل أبدا بزواج ابنته منه..

وبعد ذهابهم.. جلست ندى بجوار أبيها لتخبرهما بموافقتها على صلاح، فصاحت فيها أمها غاضبة وأخذت ذكر لها عيوب صلاح ومشكلة زواجه وابنته وشكله المقزز، وأنها لن تكون سعيدة أبدا وهى تراها بجانب هذا الإنسان البوهيمى الجلف، ظل الوالدان يقنعان ابنتيهما بالعدول عن رأيها لكنها أصرت وتركتهما لتنام فى غرفتها.. وعلى وسادتها أرخت ندى العنان لدموعها ، ليس لخوفها على مصيرها مع صلاح فهى لا يعنيها شكله ولا مظهره ولا زواجه قبلها، بل كل ما يقلقها هو سفرها ومفارقتها لوالديها وجيرانها وسكان الحى ورحيلها بعيدا عنهم.

* * *

أغمضت ندى عينيها ملقية برأسها على مقعد طائرة مصر للطيران المتجهة صوب مطار باريس الدولى، حاملة معها دموع وقبلات والديها وعمها كريم وهم يودعونها قبل صعودها إلى الطائرة، وعادت ترتجف وهى تتذكر كيف وضع والدها فى يدها هذا الصباح حوالة بثلاثة آلاف يورو، وأخبرها بأنه أودعها بأحد البنوك فى باريس... وطلب منها ألا تخبر صلاح بأمر هذه النقود وأن تفتح بها حسابا باسمها تحسّبا لأى ظرف قد

يحدث لها.. إنهم يحبونها لم يريدوا إتمام هذا الزواج أو سفرها، لكنها تعلم وحدها ماذا تريد ! إنها تريد الهروب كما هرب محمود يوما ما ،وكما فعلت صديقتها ميرال.. الآن فهمت لماذا اختاروا برودة وقساوة الغربة عن دفء حياتهم فى الحى.. إنه السفر الذى يبدل أحزاننا ويساعد على التئام جروحنا ببعدنا عن مواطن الزكريات الموجعة.

فتحت ندى عينيها، ونظرت فى وجه صلاح النائم إلى جوارها.. لقد ضمها صلاح إلى صدره لأول مره وهم يصعدون إلى الطائرة، صلاح زوجها برغم أنها لم تكن تعرفه منذ شهر واحد، منذ ذلك المساء الذى أتى فيه إلى باب بيتهم مع الخاطبة، إنه لا يطيل النظر فى وجهها، لم يحاول أن يمسك يدها، ويوم ذهابهم معا إلى السفارة الفرنسية فى القاهرة لم يحاول أن ينظر إلى عينيها الجميلتين.. ألا تعجبه حقا ؟ لا تصدق.. فلقد كانت دائما أجمل فتاة فى المدرسة وفى الجامعة، حتى فى عملها فى الأوبرا.. لم تمر بها عين زميل أو أستاذ أو تصادفها عين أحد المارة بجوارها دون أن تلمع انبهارا بجمالها وفتنتها.. إنه يحيرها ويشعرها بأنها مجرد إمرأة تزوجها ويصطحبها إلى منزله ليس أكثر.. لاحت على وجهها سحابة حزن عميقة وهى تنظر إلى خصلات شعره الملتوية المتساقطة على جبهته السمراء، إنه يكبرها باثنتى عشرة سنة.. وعادت إلى الوراء وهى تهز رأسها فى حيرة.. هل ستطيق الحياة مع صلاح ؟ هل يوجد وراء هذه الملامح القاسية قلب رقيق طيب يحنوعليها ويحبها ؟؟ لكن صلاح جاف.. كلماته دوما باردة لاذعة.. لكنها ستحاول.. هى الآن تائهة معلقة بين السماء والأرض، وحين تهبط بها الطائرة على الأرض ستجد نفسها على أرض غريبة.. لا تعرف

أحدا بها سوى صلاح. نعم أصبح صلاح هو ضوء المصباح الوحيد على أرض كاملة من الظلام المجهول.

* * *

obeikan.com

الفصل السابع

لم تصدق ندى نفسها وهى تضع أولى خطواتها فى باريس، تلك المدينة الرائعة التى حلمت بزيارتها منذ كانت طفلة فى العاشرة من عمرها.. هى الآن وقد بلغت السابعة والعشرين حققت حلمها ،وستكمل دراستها فى الكونسيرفتوار، وستعزف على الكمان فى قصر غارنييه الشهير، وستتجول بين حدائق ومعالم المدينة الأثرية ، لكنها انتبهت من شرودها على صوت صلاح الذى طلب منها حمل حقيبتها الثقيلة و تلحق به.. سارت ندى إلى جواره وهى لا تصدق أنهما يحملان حقائبهما الكثيرة من المطار إلى محطة الباص للوصول إلى البيت بل وقاما بتغيير الباص عدة مرات.. لماذا يتكبدون كل تلك المعاناة، فقط كانوا يستطيعون اخذ تاكسى أو على الأقل المترو ! هل صلاح بخيل أم فقير إلى هذه الدرجة ؟ لم تكن تتخيل أبدا أن يومها الأول كعروس وفى بلد كفرنسا سيكون بذلك الشكل..

وابتسمت ندى فى مرارة وهى تسمع صلاح يخبرها أنهما وصلا إلى منطقة سكنهما فى الحى الثامن عشر فى باريس فى شارع متفرع اسمه سانت دونيس حيث يسكن صلاح ويوجد مطعمه الشهيركما قال.. وجدت ندى نفسها أمام منزل متهالك يتكون من ثلاثة طوابق، وصلاح يسكن فى الدور الأخير الذى ما إن وصلته ندى حتى كادت تفقد وعيها.. كل شىء

تصدر منه رائحة كريهة.. أوراق مبعثرة فى كل مكان.. رأت أمامها صالة متوسطة الحجم بها أريكة لا يمكن أبدا أن تعرف لها لونا، ومع ذلك ناداها صلاح لتجلس عليها بعد أن وضع الحقائب بجوار النافذة وأغلق الباب ورمى بجسده السمين المرهق على مقعد جلدى أسود متهالك قائلا :

أوعى تفتكرى يا ندى إن الحياة هنا سهلة، والبلد حلوة.. المناطق الحلوة والنضيفة ليها تمنها وليها ناسها اللى تقدر تشترى وتدفع التمن ده.. بقالى خمستاشر سنة باتعب واشقى لعند ما فتحت مطعم ملكى وبقيت احط القرش على القرش ويادوبك عايش وبابعت الفلوس لأمى وبنتى فى الاسماعيلية ملهمش حد غيرى..

وعاد يكمل بعد لحظات :

أنا اتجوزت عشان محتاج ست بيت تراعينى وتراعى بيتى، بعد مارجع من يوم مرهق جدا فى المطعم، وشفت فيكى بنت الناس الطيبة اللى هتراعى ظروفى وتساعدنى وتراعى ربنا فيَّا.. عاوزك تكونى عاقلة يا ندى ومتعمليش مشاكل.. دماغى مش ناقصة نكد وحياتى كدة عجبانى والحمد لله زى الفل اهيه..

كانت ندى تحاول ألا تجرح شعور صلاح باشمئزازها من مسكنه وحياته، فأمها نهلة علمتها أن وراء الملامح الظاهرية وخلف جدران البيوت توجد قلوب تقدر وحدها على منح السعادة والحب.. فرفعت عينيها الزائغتين وأخبرته بأنها سعيده إلى جواره وأنها ستبذل قصارى جهدها لتنظف البيت

وتجعله جميلا رائعا ثم سألته عن وعده لها بأن تكمل دراستها العليا فى معهد باريس الموسيقى.. فصاح بها قائلا :

- اه جينا للأسئلة والنكد.. بصى يا ستى خلينا نشتغل ونجيب فلوس الأول، ولما يكون فيه فلوس وقتها هاخليكى تعملى اللى انتى عاوزاه.. إيه فيه إيه !! متبصليش كدة وقومى دخلى معايا الشنط ولا هاشيل كل حاجة لوحدى ؟!!

نظرت ندى إليه وهو يجر الحقائب على أرضية المنزل المتسخة.. من قال إن صلاح يحمل شيئا.. وحدها تحمل فى قلبها أطنانا الخوف والألم والقلق كما لم يحمله إنسان على وجه الأرض. لكن لم تجد أمامها شيئا تستطيع فعله، فصلاح اختيارها منذ البداية، وعلى المرء تحمل عواقب اختياراته..

* * *

فى صباح اليوم التالى استيقظت ندى على صوت صلاح العالى يناديها ليخبرها بدون اهتمام بأنه سيتركها فى أول يوم لهما معا وبأنه ذاهب ليفتح المطعم، تاركا لها بعض النقود على حافة المنضدة لتخرج إلى بعض المحلات وتشترى ما يلزمهما من أدوات تنظيف للبيت، وأغلق الباب وراءه بقوة.. فذهبت إلى المطبخ وفتحت باب الثلاجة القديمة لتجد علب فارغة وقوارير متسخة بها بقايا عصير نتن وأطباق بها بقايا طعام تتصاعد منه رائحة كريهة كادت تصيبها بالغثيان.. لا شىء حتى تفطر به، إنه لم يسألها ليلة الأمس إن كانت جائعة أم لا.. كأنه اكتفى بتلك الوجبة الصغيرة التى تناولوها على متن الطائرة.

هى لن تبكى.. لن تنهار أو تضعف.. لن تظلمه ولن تحاول أن تكرهه.. ربما كان معذورا، ستحاول أن توجد السعادة فى حياتها الجديدة معه.. ستعلمه الحب.. ستفعل كل هذا بالصبر، وبالحكمة أيضا.. وبعد أقل من نصف ساعة خرجت ندى إلى الشارع.. كان الجو ربيعيا جميلا.. حاولت ألا تبتعد كثيرا ووقفت أمام محل صغير اشترت منه بعض البسكويت التى التهمته بسرعة وهى تخطو بحثا عن محل تشترى منه بعض أدوات التنظيف.. كانت وجوه الناس فى الشارع مألوفة بعض الشىء، فبعضهم من قارة آسيا أو شمال إفريقيا من العرب المهاجرين وقلة قليلة من الفرنسيين الفقراء، كانت الشوارع متسخة ،ورأت فئرانا صغيرة تركض إلى جوار حائط قذر.. كتمت ندى صرختها الصغيرة فهى تكره الفئران وترتعد منهم، هل جاءت إلى باريس لتعيش فى مكان ترتع فيه الفئران والقوارض دون أن تثير الخوف أو تلفت انتباه أحد غيرها !!

لم تنس ندى أن تشترى كل ما يلزمها قبل أن تعود أدراجها حتى تنجز أعمال البيت كما وعدت صلاح، حاولت ندى بكل شبابها وقوتها وكل ما استطاعت من جهد أن تحيل المنزل إلى مكان يصلح للحياة الآدمية، لم تدع ركنا واحدا إلا وحاولت معه، ، وتنهدت قبل أن تمضى إلى الحمام لتأخذ حماما ساخنا، وأخذت تخلع ملابسها التى حملت كل ما نفضته من أوساخ عن بيت صلاح ،ووقفت بقدميها البيضاوين الجميلتين تحت ماء الشاور الدافئ.. وانتهت لتخرج أكثر جمالا مرتدية بيجاما حريرية اشترتها لها والدتها ورفعت وجهها تنظر إلى شعرها القصير بعد أن غيرت قصة شعرها إلى

قصة الكاريه الفرنسى، والتقطت حقيبتها وأخرجت جهاز اللاب توب الجديد الذى اشتراه لها والدها قبل سفرها وجلست ترسل رسالة الكترونية إلى والديها تطمئنهما فيها عليها وتخبرهما أنها تعيش حياة سعيدة كما تمنوا لها دائما.

عاد صلاح متأخرا إلى بيته، وتفاجأ ببيته نظيفا جميلا كما لم يعهده من قبل، لم يسألها كيف استاطعت القيام بكل هذا ؟ كل ما قاله أنه يريد الطعام ومر من جوارها غير مهتما بمظهرها الجذاب.. وأسقط فى يد ندى، وغرقت فى بحار دموعها من الألم الكبير.. ألا يستطيع أن يسمعها ولو كلمة شكر واحدة تعبيرا عن تقديره لمجهودها !!.. ألا تستحق ولو كلمة إعجاب وغزل واحدة تخمد غرور الأنثى بداخلها !!! بل لم يقفف الأمرعند ذلك الحد، وسمعته يلومها على شرائها للمياه المعدنية.. كعادة بعض الرجال.. يغضب ويلوم زوجته ولو على أتفه الأشياء ليرى ذلها وضعفها له ويثبت رجولته الزائفة عليها.

* * *

كان الحى الثامن عشر فى باريس كأنه قطعة من بلد عربية فقيرة برغم أنه يقع على بعد عشرين دقيقة بالمترو من ميدان Charles des Gaulle مركز باريس الحضارى والسياحى بأماكنه الراقية ومحلاته الفخمة، كان أغلب سكانه من الفقراء، فمعظمهم عرب مهاجرين مثل صلاح وغيره..

كان يقطن فى نفس المنزل -الذى تعيش فيه ندى مع صلاح- فى الطابق الثانى الأستاذ عبدالقادر فرحات وزوجته عائشة من الجزائر، كانا فى بداية الأمر غير ودودين معها لكنها أصرت على زيارتهما فى غياب صلاح الذى رفض زيارتها لهم.. وعندما فتح لها الأستاذ عبدالقادر رحب بها وأدخلها ،ونادى زوجته التى قابلتها بود وترحاب، وأخبراها كيف يعاملهما صلاح بتكبر وتعال منذ معرفتهما به، وكيف يكرهه كل جيرانه، وأنهما كانا يتجنبان معاملته كل هذه السنوات.. لكنهم وجدوا فيها من الخير ما جعلهما يتعجبان كيف تعيش امرأة رقيقة مثلها مع ذلك الرجل الوقح !! كانت ندى طوال فترة غياب صلاح عنها تحاول التعرف على كل جيرانها بسماحة مفرطة مما جعلها محط إعجاب وتقدير من معظم سكان الحى..

وفى يوم من الأيام عاد إليها صلاح ليشكو لها من ضيق رزقه، وترك العاملة للعمل التى كانت تساعده فى تقديم الطعام للزبائن فى المطعم، كما عنف أحد الطباخين وطرده ليصبح المطعم عاجزا عن الاستمرار فى العمل.. عندها طلبت منه ندى بعد تفكير أن تشاركه فى عمله وأن يصطحبها صباحا معه لتساعده مؤقتا حتى يجد عاملة أخرى ويستعيد المطعم مكانته.. لم يجد صلاح أمامه غير الموافقة حتى لا يخسر مطعمه ومصدر رزقه الوحيد.. وفى صباح اليوم التالى ذهبت ندى إلى المطعم مع زوجها لتتفاجأ بهيئته والوضع السىء الذى وصل إليه.. طلبت من صلاح أن يشترى بعض المفارش الجديدة وذهبت بنفسها وابتاعت بعض الورود والأزهار الملونة لتزين بها أركان المطعم ، وقضت يومها فى تنظيفه جيدا، ثم

أمسكت قائمة الطعام لتضيف بعض المأكولات من عندها وتصف للطباخ طريقة إعدادها بل وتساعده أحيانا.

وفى غضون أيام قليلة، عرفها الناس وبدأوا يرتادون المطعم يوميا لتناول الإفطار أو الغداء حيث كانت تشرف على تقديمه بنفسها.. وزادت شهرة المطعم لينافس كل المطاعم الموجودة بالمنطقة، ووقف صلاح مذهولا كيف استطاعت أن تفعل ندى فى أسابيع قليلة ما لم يستطع إنجازه فى سنين كثيرة، لكن صلاح جاهل حقا يستحق الشفقة، فلم يقدر الحب يوما.. لم يؤمن بقدرته وقوته..

تعرفت ندى على أنورالباكستانى وزوجته زبيدة المغربية أصحاب جزارة اللحوم بالقرب من المطعم، كما تعرفت على الحاجة حليمة وزوجها رياض من سوريا وابنتهما فاطمة التى تدرس فى كلية الهندسة المعمارية، وتوطدت علاقتها مع صديقتها شارلوت الفرنسية لأب جزائرى وقصتها مع عزوز الذى أثار حقدها على كل العرب والمسلمين بعد معاملته السيئة لها وطلاقها منه، وكيف استطاعت ندى أن تغير نظرتها إلى المسلمين وبلادهم عند تعرفها عليها ومعاملتها الطيبة لها.. وكان هناك العم البرتين وزوجته أغاثا العجوزين الفرنسيين الذين شملا ندى بعطفهما وحنانهما وأصبحا يترددان على مطعمها يوميا بعد أن كانوا لا يطيقون رؤية مالكه.. وزادت النقود فى يد صلاح برغم أنه ظل ممسكا يده فى مصروف البيت متعللا أنه يصرف نقوده على تجديد المطعم، كانت تعلم أنه يكذب عليها، فلم تهتم بذلك ،لأن المال لا يعنيها كثيرا.. كانت تقضى أوقاتها مع جيرانها

وأصدقائها الجدد فى سعادة بالغة تنسيها مرارة حياتها مع صلاح..

مرت الايام و الشهور سريعة.. وذات صباح تفاجأ الجميع بعدم وجود ندى فى المطعم، فاضطروا إلى الحديث مع صلاح ليسألوه عنها.. فرد عليها فى غير مبالاة بأنها مريضة ولم تستطع المجىء ولن تستطيع ثانية.. قالها صلاح فى عجرفة زائدة أثارت غضب العم البرتين ذى القلب الطيب، وفى المساء عاد صلاح إلى بيته ، فانعقد لسانه من هول الصدمة عندما وجد جميع الجيران والأصدقاء أمامه وكانت ندى تجلس بينهم وعلى وجهها آثار من ضربه لها فى البارحة.

قام الحاج رياض ودعا (صلاح) للجلوس معهم بهدوء.. تحرك الأخير والغضب والضيق يتطاير من ملامح وجهه العبوس ليسألهم غير مرحب عن سبب وجودهم فى منزله.. عندها تحدثت الخالة (أغاثا) فى حزم :

إحنا جيينا نطمن على ندى لأنها منزلتش النهردة شغلها فى المطعم، وعلى فكرة ندى حكتلنا كل حاجة.. كل حاجة يا صلاح.. ندى ما غلطتش لما طالبتك توفى بوعدك ليها وتسمحلها تكمل دراستها وتمارس هوايتها.. خصوصا إنها بتساعدك كتير فى المطعم بتاعك.

قاطعها صلاح فى وقاحة : لا يا أغاثا.. إحنا يدوب لاقيين ناكل ومعناش فلوس للدلع بتاعها ده.. أنا...

نظر إليه الجميع فى غضب وحنق فهم يدركون مدى كذبه وبخله.. فقامالأستاذ عبدالقادر من مجلسه وهمَّ بضرب صلاح لولا أن أبعده أنور

بكل قوته.. فقام العم البرتين من مجلسه ليصمت الجميع ويقول بكل وقار وهيبة :

أنا يا صلاح يبنى هاعديهالك المرادى لكن لو فكرت تمد إيدك على ندى بعد كده هتلاقى اللى يقفلك.. ندى بنتنا كلنا ومتنساش انت مواطن من الدرجة التانية أقدر بسهولة -أنا-كمواطن فرنسى من الدرجة الأولى أرفع عليك قضية بتعديك عليا ووقتها هتلاقى نفسك على طيارة مصر بلا رجعة.

كان صلاح ينصت إلى كلام الرجل العجوز بكل اهتمام ولم يستطع أن ينطق بحرف واحد، فتابع الرجل كلامه :

يلا بينا يا جماعة.. احنا مستنيينك يا ندى بكره فى المطعم متتأخريش علينا.

ذهب الجميع بعد أن ودّعوا ندى وألقوا على صلاح نظرات الغضب والإشمئزاز وأغلقوا الباب وراءهم لتسرع ندى إلى غرفتها وتغلق بابها وتبدأ فى البكاء، ليست حزينة بقدر ما هى سعيدة مما وجدته من أهل الحى معها ووقوفهم بجانبها، هى الآن قوية وستصبح أقوى ،غدا ستذهب إليهم فى المطعم.. .

فلابد للحياة أن تستمر مهما واجهنا من مصاعب، ومهما قابلنا من أشخاص سيئين، ولكن الحب وحده يستطيع أن يحوّل تلك الأوقات الصعبة إلى دروس جيدة نتعلمها، ولحظات فريدة نعيشها..

* * *

وفى الصباح ذهبت ندى إلى المطعم، وواصلت العمل متجاهلة نظرات صلاح القاسية، وباشرت بتقديم الطعام إلى الناس حتى تفاجأت بدخول العم البرتين وزوجته الخالة أغاثا ومعهما شارلوت تحمل صندوقا كبيرا، وأمام ذهول الجميع وتعجب ندى طلبوا منها فتحه لتجد بداخله.. نعم.. وجدته بداخلها ذلك القوس الشامخ رابضا بجانب الكمنجة الفاخرة.. إنه الكمان.. الفيولا.. التى لم تلامس يداها أوتاره منذ سنة تقريبا بعد أن كسرها صلاح فى نوبة من نوبات غضبه المتكررة.

لم تدرك ندى نفسها وهى تحتضن العم البرتين وتتعلق بذراعيها فى رقبته، ثم تنتقل إلى أغاثا الطيبة الحنونة وشارلوت الرقيقة لتضعهما داخل زراعيها وتشكرهما كثيرا وسط دموعها الغزيرة.. صفق جميع الحاضرين على ذلك المشهد المؤثر، بينما وقف صلاح بعيدا يرمقهم فى حقد وغضب كبيرين.

اعتادت ندى كل يوم أن تعزف فى المطعم بعض المقطوعات الموسيقية التى تعلمت عزفها فى الأوبرا المصرية وهم يستمعون إليها فى سعادة وحب وفرح، وزاد إقبال الناس على المطعم لينصتوا لعزفها الرائع الذى يزيل عنهم كل آلامهم وهمومهم بموسيقاها العذبة التى تغزل أرواحهم على معطف السعادة والمحبة.. وقام الأستاذ عبدالقدار بوضع صندوق بجانب ندى يضعون فيه كل ما يستطيعون لمساعدتها فى استكمال دراستها.. واستطاعت ندى فى آخر الشهر أن تجنى مبلغا كبيرا لم تكن تتوقعه أبدا، لتستطيع دفع أول قسط من أقساط المعهد وتلتحق بالدراسه فى صفوفه

ذاك العام.

كان صلاح يزيد من معاملته السيئة لها لأنه يدرك أنه لم يستطع منعها، وأنها تفوقت عليه بمساعدة كل أهل الحى، وهو لا يقدر على مخالفة كلامهم فيجد نفسه مرغما على العودة إلى مصر حيث عزبة التسعين وحياته الفقيرة هناك.

* * *

وجاء أول يوم لندى فى دراستها بالمعهد حيث استيقظت باكرا لتجد رسالة جديدة من أمل تخبرها فيها عن سعادتها بخبر التحاقها بالمعهد الموسيقى فى باريس، وأنها تخطو أولى درجات سلم حلمها، وحكت لها عن طلاق صديقتهم أسماء بعد وفاة أبيها الحاج ربيع ورفعها قضية خلع على حسام الذى أجبر على طلاقها فى المحكمة بعد تنازلها عن كافة حقوقها له ليتركها وشأنها تبدأ حياة جديدة لها ولابنها الصغير.. قرأتها بسرعة ثم ذهبت لتودع العم البرتين وزوجته فى طريقها إلى محطة الميترو متجهة إلى الدائرة التاسعة عشر من باريس فى حى جادة جان جورى Convenue Jean Jaures لتجد نفسها واقفة أما مبنى ضخم مكتوب أعلاه Conservatoire National Superieur de musique et de danse de Paris.. وهناك تلقت أول دروسها فى العزف على يد واحد من اكبر العازفين فى فرنسا والعالم كله.. كانت ندى سعيدة وفى قمة الفرح وهى ترى نفسها تحقق حلم طفولتها.. نعم أعطتها الحياة الكثير من الألم لكن فى النهاية وهبتها السعادة ولم تبخل

عليها بحلمها، ربما كان يجب أن تتزوج صلاح ليأتى بها إلى هذه البلاد الغربية لتستطيع أن تحقق أمنيتها وحلم حياتها منذ صغرها.

إن حياتها سعيدة حقا، جيرانها وأصدقاؤها يمنحوها الحب والحنان ويعوضوها عن غيابها بعيدا عن وطنها وأحضان والديها.. كانت تتصل بهم دائما فى مصر تطمئن على أحوالهم.. جميعهم بخير وهى أيضا بخير، وستكون بخير أكثر رغم ما يشوب صفاء حياتها ويعكر جمالها وهو صلاح وازدياد قسوته عليها..

وتتابعت الأيام وندى تحاول التوفيق بين دراستها وبين عملها فى المطعم وواجباتها كزوجة مع صلاح.. كان جيرانها يحاولون مساعدتها والتخفيف عنها، لكنها وحدها تعانى دون تذمر.. فقد رضيت بحياتها التى اختارتها بنفسها، وفى يوم ضاقت عليها نفسها قررت الذهاب إلى حديقة البالونيه الشهيرة التى طالما قرأت عنها Bois de Boulogne ، حيث توجد بها بحيرة جميلة ويمر فى منتصفها نهر السين الذى لا يقل روعة عن نهر النيل العظيم وفى شمالها توجد حديقة حيوانات رائعة..

جلست ندى على مقعد خشبى أمام البحيرة الجميلة تنظر إلى انعكاس أشعة الشمس الذهبية على صفحة المياه وتلألأ قطرات المياه فى عينيها كدموعها المتساقطة.. لكن هناك ما أيقظها من شرودها وحبس أنفاسها للحظات، عندما لاح وجه رجل على المياه أمامها.. وجه مألوف.. تعرفه جيدا.. تسارعت نبضات قلبها قبل أن ترفع عينيها عاليا لتنظر من يقف

أمامها.. مستحيل.. لا يمكن.. إنه هو..

إنه.. .. خالد.

* * *

obeikan.com

الفصل الثامن

مرت لحظات كثيرة وندى واجمة كأنها تمثال من رخام، هرب الدم من عروقها وانتفض جسدها لتنظر أمامها وتتأكد بما رأته عيناها.. إنه خالد بأناقته المعتادة ونظرة عينيه العميقتين، اقترب منها ليهتف اسمها.. ندى.. ندى.. سمعت ندى اسمها بعذوبة أفقدتها تماسكها وذهبت بعقلها بعيدا، ثم أفاقت على محاولة خالد جذبها بين زراعيه بقوة.. تركت له نفسها دون وعى منها.. فأخذ بيدها وأجلسها بجانبه ممسكا بوجهها الرقيق فى حب وحنان..

نظرت إليه ندى ثم لطمته على وجهه بكفها الصغير لتتابع نوبة صياحها وغضبها وبكائها قائلة :

ليه يا خالد ؟ ليه سبتنى يومها ومشيت ؟ من غير رسالة واحدة ؟ ليه تخليت عنى ؟ فين طنت عايدة ؟ باباك هو اللى عمل كده ،.. هو اللى خدكم وسافر ؟ ليه مقلتليش !! ظلمتنى أوى.. مدتنيش فرصة أختار.. بعدت عنى وهربت واختفيت.. عارف إيه حصلى بعدك !! قد إيه عانيت وتعبت لوحدى ؟ كم ليلة بكيت فيها لوش الصبح وعندى أمل إنك ترجع ؟

ضمها خالد إلى صدره حتى هدأت روعتها وسكن غضبها :

أحيانا الحياة بتجبرنا نعمل حاجات نئذى بيها أقرب الناس لينا من غير قصد، وزى مابتدينا الحب والسعادة بتدينا الالم والوجع عشان نعرف

قيمة الأوقات الحلوة.. إنتى يا ندى أحلى حاجة حصلتلى وعمرى ما تخليت عنك.. ماما عايدة موجودة فى دار مسنين فالجيزة.. وبابا مات بنوبة قلبية من سنين.. وأنا محبوس هنا مش عارف أرجع.. جيت فرنسا عشان أتعالج، يوم خطوبتنا رحت أجيب نتايج الأشعة والتحاليل بتاعتى واكتشفت عندى مرض خطير.. ورم فى الدماغ وكان منتشر.. حجزونى فى المستشفى وطالبوا بسرعة إجرائى للعملية وسافرت فرنسا عشان أعملها، كل حاجة حصلت بسرعة مقدرتش أكلمك..

نظرت ندى له بعينين دامعتين وحضنته بشدة، ثم حكت له عن حياتها القاسية مع صلاح.. ثم نهضت واقفة فيجب عليها العودة الآن حتى لا تثير غضبه فيبرحها ضربا كعادته..

ملأ الحزن وجه خالد عندما ذكرت اسم صلاح ليمسك يدها الرقيقة قائلا:

أنا جنبك يا ندى ومش هاسيبك ، كل يوم تعالى هنا، وخلينا منفكرش فى أى حاجة تزعلنا.. كفاية اللى ضاع مننا.. وصلاح ده هنلاقيله حل، قومى روحى وبكره هاستناكى..

ابتسمت ندى وأومأت برأسها وتركت خالد، واستقلت المترو عائدة إلى الحى لتأخذ نصيبها اليومى من الإهانة على يد صلاح لتأخرها عن ميعاد العمل الذى لم تتأخر عنه يوما.. عامان مرا عليها وهى ترسم ملامح الذل الصامت على وجهها..

* * *

فرحت ندى لوجودها بجانب خالد والتقائها به يوميا ، ذهبت إلى البنك وسحبت من نقود والدها ما يكفيها لشراء ملابس جديدة لتقابل بها خالد.. كان ينتظرها أمام محطة الميترو كما كان يفعل فى القاهرة، ثم يذهب معها إلى دار الأوبرا الفرنسية ويشاهدها وهى تعزف مشجعا لها، أما هى فكان قلبها يطير من الفرح وهى تراه أمامها بعد مرور سنوات أفقدتها الأمل بلقياه.. إنهما معا برغم الألم والوجع.. يمسكان خيوط النور ويغزلان الأمل فى معطف الزمن.

كانت سعيدة بجانبه.. تسرب الفرح بداخلها وسكن أعماقها حتى لمسه كل جيرانها وأصدقائها.. أخذها خالد إلى متحف اللوفر الرائع وهناك رأت لوحة الموناليزا ، خلف ساحة الكونكورد المبهرة بعد أن سارا معا فى شارع الشانزلزية .. إن المشى فى ذلك الشارع هو المتعة الحقيقية حيث الرصيف الواسع المرصوف بحجارة قديمة مما يعطى انطباعا مميزا وجذابا، كما توجد المحلات الكبيرة الراقية والمبانى الفخمة القديمة التى تصل أعمارها إلى ثلاثة أو أربعة قرون، وهناك المبانى الحديثة كتحف معمارية فنية.. اصطحبها خالد إلى أكوا بولفار.. المدينة المائية العجيبة، كما ذهبا إلى جاليرى لافابيت أشهر سوق فى باريس.. كان يشترى لها الهدايا الثمينة ويتناولان الطعام معا فى مطعم الديوان الذى يقدم الأطباق العربية ويتميز بطلته الرائعة على نهر السين.. كان الجو صيفيا ودرجة الحرارة منعشة وملائمة للخروج والتجوال فى مدينة الانوار..

وعند عودتها كان خالد يودعها بقبلة سريعة على خدها يضعها فى حنان..

لكن هذه المرة جلست ندى بالقرب من خالد على نفس المقعد أمام البحيرة فى حديقة البالونيه.. وأسندت رأسها على صدره ولم تستطع أن تتمالك نفسها وأجهشت بالبكاء قائلة :

متسبنيش يا خالد.. أنا ما صدقت لقيتك، مش عاوزة أرجع لصلاح.. انت متعرفش بيعمل فيا إيه..

فضمها إليه خالد وعاد برأسه إلى الخلف ليقول وهو يبكى :

ماتبكيش يا ندى أرجوكى..

والتقت عيناهما.. ونظر خالد إلى شفتيها الورديتين المكتنزتين تنتفضان وهى تحاول أن تسكت نحيبها وبكائها.. أحست ندى بأن الأرض تدور بها وسكن صوتها وأغمضت عينيها.. وانحنى خالد بشفتيه يقترب من شفتيها.. وشعرت ندى بشفتيه تقتربان.. وسكتت كأنها ما كانت تبكى وترتعد كاليمامة المذبوحة.. شعرت بنبضات قلب خالد وأنفاسه تقترب.. كل ما فيه يناديها بحرارة منذ ضمتهما نفس السماء والأرض والشمس والقمر.. تمنت أن تلبى النداء ، شعرت ولأول مرة فى حياتها بأنها تريد.. أن تضيع فى صدره وتدور معه حول شمسيهما.. شعرت بالدم يفور فى عروقها.. لكنها سمعت صوت طفلة يناديها فى أعماقها.. تبكى وتركض هاربة من سهول حمراء ملتهبة الحشائش إلى كهوف جليدية سحيقة.. ولمست شفتيها شفتيه فصاحت مذعورة كأنها تصفح وجه قلبها فى ألم كبير.. بعد أن وضع خالد قبلة سريعة على شفتيها كقبلة الأطفال البريئة، وأفاقت ندى لتتذكر أنها امرأة

obeikan.com

متزوجة.. إنها تخون صلاح مع خالد.. لا.. ندى ليست خائنة أبدا.. جمرات الرغبة الرجيمة جفت بداخلها، ونظرت إلى خالد قائلة فى حزن :

سامحنى يا خالد، كفاية كدة.. أنا متجوزة صلاح.. اللى بنعمله ده حرام.. لازم أمشى دلوقتى.

قالتها ندى وهى تترك الحديقة وتجرى لاهثة دون أن تنظر خلفها لترجع إلى لعنات صلاح وكلامه القاسى وضربه لها أحيانا.

* * *

عادت ندى إلى المنزل وهى تحاول الهرب بعيدا عن أعين الناس.. هل رآها أحدهم مع خالد !! هل هى زوجة خائنة ؟ هل تغضب أم تشفق على صلاح ؟.. كان الليل يشق طريقه فى دروب السماء بغموض، والبرق يلمع وحشيا فى شبكات عنكبوتية تنسجها العاصفة الحزينة.. وعندما عاد صلاح من عمله ألقى عليها نظرة طويلة باردة كأنه يريد قول شىء، لكنه استمر فى صمته ودخل لينام.. كان واضحا عليها أنها مريضة، ربما ارتفعت درجة حرارتها.. ربما سعلت قليلا.. لكنها لم تكن تشعر بشىء.. كل ما تفكر به هو خالد.. كيف تستطيع إخبار صلاح عنه ؟ هل يطلقها صلاح بهذه السهولة ؟ لابد أن تجد حلا ينتشلها من عذابها.. الخواطر المؤلمة تفيض من جوارحها، وكل شىء بدا غريبا مهزوزا أمام عينيها الدامعتين... القمر يرتجف.. يود أن ينطلق مذعورا إلى حيث يغرق فى شمس ما ويضيع.. يتلاشى.. لكنه مقيد فى كبد السماء.. يرتجف ذليلا خائفا زائغ الظلال ينثر أشعته مكرها..

يجب أن تجد حلا !!!

وفى اليوم التالى ذهبت إلى الكونسيرفتوار لتعزف مع الأوركسترا سيمفونية Merry Christmas الرائعة وسط إعجاب كبير من أساتذتها وزملائها الذين أقروا بمهارتها فى العزف وأثنوا عليها، وأثناء عزفها لمحت خالد فى الصفوف الأمامية يستمع إلى موسيقاها العذبة ،وعندما انتهت اقترب منها ودعاها إلى مقهى الفوكيه الشهير وشربا القهوة سويا قبل أن تخبره ندى بأنها لا تريد رؤيته مرة أخرى، فهى الآن إمرأة متزوجة لا يحق لهما أن يفعلا ما يريدانه، إنه يغضب الله ولا ترضى عنه السماء الشاهده عليهم ، ليتصاعد صوت جرس هاتفها قويا.. يزيح ستائر الهدوء عن رأسها.. وجدت رقم صلاح، فردت عليه مستأذنة خالد وجاءها صوته غليظا قاسيا يلومها على تأخرها ويسمعها سيلا من الألفاظ البذيئة التى ما سمعتها يوما فى حياتها فأخبرته بأنها ستتأخر نصف ساعة فقط وستعود سريعا، ثم تركت الهاتف وأكملت حديثها مع خالد الذى أمسك يديها المرتجفتين ونظر فى عينيها ليخبرها كعادته أنه يحبها... حينها انهارت ندى فى البكاء وصاحت به وهى تمسك على يديه بقوة :

وأنا بحبك أوى يا خالد.. إنت أول وآخر حد حبيته.. متسبنيش يا خالد.. أرجوك ماتبعدش عنى.. أنا كرهت حياتى مع صلاح.. زهقت من وقاحته وإهاناته المستمرة وشكله المقزز وحياته الفقيرة.. أنا باكرهه وعمرى ما حبيته، أرجوك خدنى معاك يا خالد.. أنا هاطلق من صلاح ونتجوز ونكمل حياتنا سوى.

نظر إليها خالد فى أسى قائلا : تفتكرى صلاح هيسيبك تطلقى منه بسهولة كده ؟ انتى بالنسبالة كنز وعصاية سحرية غيرت حياته، ونجاحه فى المطعم كان بسببك.. صلاح عرف قيمتك كويس ومش هيسيبنا فى حالنا.. أنا خايف عليكى يا ندى من اللى ممكن يعمله صلاح، هو لعند دلوقتى جوزك برضو..

رجعت ندى بجسدها إلى الوراء على الكرسى الوثير وأسندت رأسها على يدها، ثم أخذت نفسا عميقا قبل أن تذهب وتترك خالد يرتشف فنجان القهوة على مهل وهو يراقبها حتى اختفت عن الأنظار.

وعندما وصلت ندى المنزل تفاجأت بعودة صلاح قبلها على غير المعتاد جالسا على الكرسى المتهالك فى الصالة واضعا رأسه بين يديه وعندما رآها صوَّب نظرات عينيه القاسية تجاهها، وحدق فيها بعينين يتطاير منهما الشرر والغضب كأنه يستعد إلى خوض معركة عنيفة، فسرت فى جسدها رعشة جعلتها تتردد فى التفوه بكلمة واحدة حتى جاءها صوته قويا مزلزلا : إيه يا هانم.. خلصتى قعدة الأنس مع حبيب القلب بدرى كده ليه !!

ذعرت ندى عند سماعها كلام زوجها، وتظاهرت بالهدوء واللامبالاة قائلة:

تقصد مين يا صلاح ؟ إيه الكلام السخيف اللى بتقوله ده !!!

فصاح بها الأخير فى حنق : بتقوليلى مين.. آه ما هما كتير.. مين فيهم يعنى.. وأنا المغفل اللى طلعان عينه فى الشغل وانتى هناك بتروشى على نفسك.. النهاردة سمعت كل حاجة بنفسى يا هانم، بقالك فترة متغيرة

وملاحظ كده وساكت.. بتخونينى يا ندى..

وهنا فتح صلاح هاتفه المحمول وشهره فى وجه ندى لتستمع إلى صوتها وهى تبادل خالد كلام الحب ،وتخبره أنه تحبه وترجوه ألا يتركها.. لقد نسيت أن تغلق الهاتف بعد اتصال صلاح لها، وسمع كل ما قالته لخالد.. إنه الآن كذئب جريح.. لا تعرف ماذا تفعل أو تقول !!! لكنها دمدمت بصوت منخفض :

انت مش فاهم حاجة يا صلاح.. خلينى أشرحلك.. مفيش حد لمسنى غيرك.. خلينى أحكيلك واشرحلك كل حاجة و.. .

-وانتى لسة هتشرحى.. عارفة.. اللى زيك ميستحقوش يعيشوا.. زمان كانوا بيرجموهم، حتى الموت مش هيشفى غليلى فيكى.

ثم أردف صلاح قائلا : أنا سمعتك بتعترفيله بحبك وإنك بتكرهينى.. أنا باكرهك وبالعن اليوم اللى شفتك فيه يا خاينة يا ملعونة..

وانهال عليها ضربا مبرحا وعلى مسامعها كانت كلماته تتساقط كسهام مسمومة، حتى خمدت بداخله قوته وانطفأت ثورة جسده ليخرج تاركا المنزل يضج بأنين ندى وبكائها ودموعها.. كانت ندى تغطى وجهها بيديها مستسلمة لصلاح يضربها كما يشاء.. هل أرادت حقا أن يضربها ؟ هل تجد ضربه لها حجة قوية لهروبها إلى أحضان خالد ؟؟؟

خرج صلاح من شقته ودفع الباب وراءه فأصدر ضجيجا سمعه كل من حوله، صلاح لا يستطيع أن يمر عليه يوم دون أن يتسبب فى ضيق أحد أو

يؤذيه.. كانت شخصيته مريضة.. يتكلم بتعالى وتكبر.. يتفاخر بما عنده وما ليس عنده.. عنده أنفة كبيرة وعزة نفس واضحة.. لكنه اليوم كطائر مذبوح.. لا يصدق كيف تحولت اليمامة البريئة إلى امرأة خائنة !!! كلما تذكر كلماتها عنه استشاط غضبا، ثم عزم على الاقدام على فعل شيء يعلم جيدا أنه سيؤلم ندى ويكسرها أمامه.. جلس على مقعد فى الشارع واتصل بهاتف الدكتور كمال ليخبره عن ندى وخيانتها له مع رجل آخر واكتشافه لذلك.. ليأتيه صوت الدكتو كمال ضعيفا مخنوقا من البكاء.. فأغلق الخط وعاد إلى منزله ليجدها غارقة فى النوم على الأريكة بعد أن تورمت جفونها من أثر بكاء طويل.

استيقظت ندى لتتفاجأ باتصال لها من القاهرة يخبرها بضرورة عودتها إلى القاهرة لتشييع جثمان والدها وحضور العزاء.. مات الدكتور كمال.. مات بعد سماعه لكلام صلاح الدنيء إثر نوبة قلبية حادة وهبوط سريع جعله فريسة الموت، لم تجد ندى الوقت لتسأل أو تناقش.. بل أخذت جواز السفر الخاص بها وحقيبة صغيرة وحجزت على أول طائرة متجهة إلى القاهرة..

* * *

الفصل التاسع

كانت هذه فصول حكايتى رويتها عليكم لعلكم تحكمون فى أمرى قبل أن يصدر القدر حكمه وأعلم مصيرى المحتوم ، لو أستطيع الآن لأستجديت من الموت حياة جديدة.. تمنحنى فيها السماء بركاتها لأظل فى حضن أبى وأمى طفلة بسيطة وعصفورة صغيرة ، سأدعو الله أن يرزقنى خالد أيضا.. ولا شىء غيره أريده بجانبى.. أتحسس أنفاسه بأناملى قرب صدرى..

دخلت (خيرية) بصينية صغيرة عليها بعض البسكويت المالح الذى أحبه وكوبا من القهوة الساخنة.. ارتشفتها علي مهل، ثم ارتديت ملابسي وقررت أن أتمشى على الكورنيش وأرى الناس عن قرب.. اشتقت إلى القاهرة ونيلها وشوارعها وأناسها الطيبين وملامحهم الهادئة، لكنني شعرت بأني غريبة عليهم.. سنتان تقريبا فى فرنسا خلقا مسافة بيني وبينهم.. كل ما كان يشغل بالي هو عدم اتصال خالد أو رده على رسائلي ؟ لقد تركت له رسالة تخبره بسفري المفاجئ ووفاة أبي !!! لماذا لم يحاول الاطمئنان أو تعزيتي ؟ ما الذى يشغله ؟ أسئلة كثيرة تنمو فى هدوء صمتي المبهم ونظرة عيني القاتمتين.. أضيع فى زحمة الناس، والوحدة تعبث فى كياني.. السأم والحزن ذئب أصفر يعوى فى دمي البارد... أتجول فى شوارع المدينة وأضيع فى حواريها المتداخلة وفى وجوه الناس.. بدأ الظلام يتفجر من

صدرى وسكب ظلاله فى دربى ليغمره بصقيع رمادى، فقررت أن أدخل مقهى أتناول به ما يعيننى على مواصلة السير والرجوع إلى شقتى.. تلك الشقة التى اشتراها خالد لنتزوج بها، وعندما عدت من فرنسا لحضور العزاء، وثارت أمى فى وجهى لم يتبق لى مكان أذهب إليه غيرها نوأرسلت أمل الخادمة خيرية ابنة خالة صباح لتراعى مطالبى.. حتى تهدأ أمى وأحاول محادثتها مرة اخرى قبل رحيلى إلى باريس.

وعند دخولى المطعم لم ألاحظ أى شىء غريب أو جديد.. هو نفسه ما دخلته مع خالد منذ ست سنوات.. تغمرنى ظلال خوف قديم.. انظر إلى حيث كان ذات مرة ولا أجد ليل عينيه الدافئ.. لقد مضى.. كنا نجلس هناك فى ذلك الركن الهادئ نتبادل الكلمات العطرة والنظرات الحنونة.. كانت أعيننا تقول ما لم نستطع يوما البوح به.. كانت سعيدة راضية بحياتها.. كانت تحلم.. للحظات لم أصدق عيناى عندما وقعتعلى شخصين فى الطاولة المقابلة يطعمان طفلا صغيرا بعض شطائر البيتزا الشهية.. كانت هذه أسماء وابنها الصغير محمد وإلى جوارهما مصطفى، اقتربت منهم وما إن رأونى حتى شهقت أسماء فى فرح وسعادة عارمة، وتبادلنا الأحضان والقبلات الحارة ،وانضممت إليهم.. حكوا لى كيف سارت قصتهما وإعلان مصطفى حبه لها ن وحكت أسماء عن عملها الجديد فى إحدى مكاتب البريد، وعن سعادتها فى حياتها الجديدة مع زوجها مصطفى الذى يحسن معاملتهما .. كما حكى لى مصطفى عن عمله فى سوق المال والبورصة وتعيينه فى شركة كبيرة يجنى منها الكثير ، كما أخبرنى عن زواج محمود

من صديقة له وإنجابه لولد رائع يشبهه كثيرا.. حكوا لى عن الحى والشارع وأحوال الناس به.. كما أخبرتهم عن باريس وشوارعها وأنوارها الخلابة وعن حياتي فى الحى الثامن عشر هناك وسكان الحى الأوفياء الطيبين.. وتأخر الوقت فاستأذنتهم وانطلقت إلى شقتى حيث تزاحمت الأفكار برأسى وتناثرت كسنابل القمح السخية.. هل يحن لى القدر ويمنحنى فرصة ثانية وحياة جديدة مملوءة بالسعادة ! هل ينتظرنى ما هو أجمل أم ما هو أسوأ ؟ أنا خائفة، وأرتعد من القلق.. ورؤيتى لأسماء أعطتنى أملا جديدا.. ربما يبتسم الزمان لى يوما ما..

* * *

استيقظت فى الصباح التالى ،وتفقدت جهاز اللاب توب فوجدت صندوق الرسائل فارغا مما زاد شكوكى.. أين خالد ؟ لماذا لا يرد ولا يجيب عليها ؟ تساؤلات عديدة ضاق بها صدرى، فقررت فورا الذهاب إلى باريس.

وعلى متن الطائرة تذكرت صلاح هذا الحقير الذى تسبب فى موت أبي بعد اتصاله به، وإدعائه الكاذب بوجود علاقة بينها وبين أحد الرجال.. لقد عرف صلاح جيدا كيف يذبحها بسكين بارد.. كيف يكسرها ويذيقها الألم جرارا حتى تسكر منه، إنه ظلمها، وقوله بهتانا وزورا كبيرا.. عندما وصلت باريس اتجهت إليه فورا.. لا أدرى ماذا أستطيع أن أفعل له بيديَّ الضعيفتين وجسدى المتعب وروحى المتهالكة بعد فراق والدى وهو غاضب عليَّ.. فتوجهت إلى المطعم وهناك وجدته غارقا فى كآبته والمكان شبه فارغ من الناس. ولما رآنى أقبل مهللا ومرحبا كأن لم يحدث شيء ،لكنها

سرعان ما أدركت سبب ترحيبه، لقد أفلس المطعم.. هجره سكان الحى وتركه العاملين معه، أنا الآن فرصته الأخيرة لينقذ وضعه.. قابلته بصفعة قوية أفاقته من آماله وأحلامه.. وأخبرته بأنى أريد الطلاق ،وأنه من قتل والدى وأن الله سيعاقبه.. لم ارتكب خطأ.. لم أسلم جسدى لغيره.. سواء أحببته أم كرهته.. أنا لم تخونه.. كيف يتهمنى فى شرفى وهو لم يتأكد !! أليس قذف المحصنات جريمة ومعصية كبيرة يعاقب الله عليها ؟؟!!!

ووسط نظرات أهل الحى الحائرة بين تصديقهم لصلاح والتسجيل الذى يملكه، وبين معرفتهم بندى وحبهم لها.. كانت ترى كل تلك الحيرة والقلق البادبين على وجوههم، لكنها لم تدع لهم فرصة للتفكير، وغادرت الحى بلا رجعة.

* * *

-صعدت إلى المترو وأنا لا أعرف أين سأذهب.. خالد لا يرد ،ولم يحادثنى قط، بدأ القلق يسيطر علي جوارحى.. فقررت الذهاب إلى الفندق الذى ذكره لى وأخبرنى عن حياته به طوال السنوات الماضية.. لم أتتردد وأنا أطلب من السكرتيرة أن تحادث خالد الشاذلى وتخبره بوجودى.. وبعد قليل عادت إلي الموظفة فى ود مصطنع لتخبرنى بعدم وجود مثل هذا الاسم فى قائمة النزلاء.. أعدت عليها السؤال وتوسلت إليها مرارا وتكرارا حتى تساعدنى وتبحث أكثر لكننى لم أحظ بنتيجة ترضينى.. فأطرقت رأسى بعد أن يئست من محاولتى الأخيرة فى إيجاد خالد.. إلا أن رجلا أنيقا فى منتصف العمر استوقفنى قبل خروجي ،وحدق فى وجهى قبل أن ينطق :

خالد الشاذلى.. تقصدى البشمهندس خالد رأفت الشاذلى ؟؟

رفعت إليه طرف عينى ،وأشرت إليه موافقة ليكمل كلامه لى الذى وقع صداه على أذنى وقع العاصفة الثلجية على مدينة صيفية هادئة.. قائلا :

خالد بيه كان نزيل عندنا فى الفندق من أكتر من حوالى ست سنين تقريبا.. كان من أعز أصدقائى لكنه توفى اللّه يرحمه.. ياااه السنين عدت بسرعة.. هو حضرتك قريبته ؟ أقدر أساعدك إزاى ؟

لم أرد عليه، بل لم أسمع كلامه الباقى، ما هذا الخرف والعبث ؟ ما هذا الكابوس ؟ أين خالد ؟ أريده الآن أمامى أكثر من أى وقت مضى.. لكن ما الذى يقوله ذلك الرجل ؟ لماذا يخبرنى أنه مات ؟ خالد كان معى منذ أيام قلائل يسير بجانبى هناك قريبا من ذلك السور متجهين إلى المقهى..

وبدون وعى وجدت نفسى أذهب باتجاه حديقة البالونيه، وجلست على المقعد أمام البحيرة أنتظر مجىء خالد، لكنه لم يأت.. جلست أنتظره لساعات طويلة فرغ فيها صبرى.. ففتحت حقيبة يدى الصغيرة لأجد دفترا من اللون الأحمر لم ألحظ وجوده معى خلال الأيام الماضية، وتذكرت أول يوم لى هنا ،وذهابى إلى الكونسيرفتوار فى باريس، ودخولى الحديقة لأول مرة وجلوسى على هذا المقعد.. نعم لقد وجدت هذا الدفتر ملصقا أسفل المقعد بقطعة طين صلصال صغيرة ..

ما هذا الشعور الغريب الذى يجتاحنى، وهذه الرعشة القوية التى تدب فى أوصالى ؟! فتحت الدفتر لأقرأ صفحاته الأولى لتحكى سطورها عن قصة

حبنا أنا وخالد.. كتبها خالد قبل وفاته بأيام قليلة، حكى لى فيها عن مرضه وسبب سفره المفاجىء.. أخبرني عن حياته فى ذلك الفندق وعن رحلاته فى باريس والاماكن التى زارها.. لقد فهمت الآن وأدركت كل شىء وأعرف جيدا إلى أين ستأخذنى قدماى.

* * *

أمام مستشفى باريس الجراحى، وقفت أنظر عاليا أتأمل ارتفاع المبنى وكثرة طوابقه وطرازه المعمارى الرومانى الرائع ،ثم دخلت المشفى وتظاهرت بأن أعانى المرض وأريد القيام بعملية جراحية.. لم يلتفت نحوى الكثيرون وأنا أتسلل خلال عنابر المشفى حتى توقفت قدماى أمام واحد من أسرة المرضى.. كان رجلا عجوزا، عندما رآنى للوهلة الأولى حاول جاهدا الابتسام لى برغم ما يكابده من آلام واضحة على ملامح وجهه الشاحب الهزيل..

لكننى لم أكن أراه، كنت أشاهد بوضوح آخر لحظات فى حياة خالد، أراه ينام مستلقيا وقد حقنوا أوردته وأوصلوا جسده بأجهزة كثيرة ،ووجهه تعلوه صفرة مريضة وشحوب زائد كأن الدم هرب من عروقه.. أراقبه يتنفس فى بطء يحاول فتح عينيه المتورمتين، ويرفع جفونهما السوداء الثقيلة ،ويرنو نحوى بنظرة بائسة.. وما رآنى حتى لاحت على شفتيه طيف ابتسامة صغيرة.. كانت يوما ما تملأ الدنيا بصوت ضحكتها ،وتتسع حتى تظهر أسنانه جميعها فى صفين من الؤلؤ العاجى الجميل.. ثم اشتعل صوت بجانبه جعل الممرضات والأطباء يسرعن إليه محاولين إنعاش قلبه

واستعادته.. وهو ساكن فى أيديهم كطفل رضيع نائم هادئ ينظر نحوى مبتسما..

أفقت من شرودى على صوت الأطباء وهم يحاولون إنقاذ الرجل العجوز من برائن الموت الغادرة التى لم تترك لهم فرصة ،وسلبت حياة العجوز دون رحمة.. فاستجمعت نفسى وهممت بالرحيل لولا استوقفنى صوت حنون جاءنى من الخلف قائلا : ساندريللا.. .

* * *

obeikan.com

الفصل العاشر

التفت ورائى لأجد رجلا وسيما فى نهاية الخمسين أو ربما فى أوائل الستين.. شعره أشقر تغزوه شعيرات بيضاء كثيرة مما يكسبه مزيدا من الوقار والاحترام.. كان يبدو من ملابسه أنه أحد الأطباء فى المشفى.. شعرت بالخوف والحيرة لكن تذكرت ابتسامته الواسعة ونظرة عينيه الواثقة.. إنى وحيدة تماما الآن بعد هجرى لصلاح ، وافترائه برغم علمه بمرضى ،ووفاة أبى، ومعرفتى بحقيقة خالد.. ما أهون الحياة فى نظرى ! ومن هذا الرجل الذى نادانى منذ قليل ؟ هل يقصدنى أنا فعلا ؟ التفت حولى لأتاكد أننى المقصودة.. فجاءها صوته فى عطف وحنان :

أيوة إنتى يا ندى.. ساندريلا.. ساندريلا خالد..

كانت عينى مليئة بالدموع، وعقلى عاجز على التفكير حتى أننى لم أرد عليه.. فجذبنى من يدى وسار بى فى ممر طويل آخره توجد غرفته ،وبها مكتب ضخم ، لمحت لافتة فى صدر مكتبه مكتوب عليها دكتور الكسندر رانفييه استشارى جراحة المخ والأعصاب.. جلس دكتور الكسندر أمامى بعد أن طلب لى كوبا من الماء وآخر من عصير الليمون، وما إن استجمعت نفسى حتى نظرت إلى عينيه الواثقتين وسألته عن معرفته بخالد، فأجاب :

طبعا يا ندى.. خالد كان هنا ، مات على نفس السرير اللى كنتى واقفة

قصاده.. خالد مكنش بالنسبالى مريض بيتعالج عندى وبس.. معرفتى بيه ترجع لسنين طويلة لما كان بيدرس الهندسة مع ابنى (الفونس) فى جامعات الخارج..

وهنا لاحت فى عينيه مسحة حزن عميقة، وتابع حديثه قائلا :

ألفونس ابنى كان بيحب خالد جدا.. كانوا أصدقاء.. لكن فى حادث إرهابى غادر وسط العاصمة باريس.. اتقتل ابنى وهو بيشرب قهوته مع أصحابه.. ومن وقتها وخالد مسابناش وديما بيزورنا.. كانت كريستين مراتى تعتبره زى الفونس وتدعيله الرب يحميه.. لعند ما كانت الليلة المشئومة اللى فيها اتصل بيا خالد يقرالى التحاليل والأشعة.. وقتها أغمى عليه ودخل فى غيبوبة.. كان كل همنا نستعجل اجراءات سفره عشان نعمله العملية هنا فى باريس.. كان كل ما يفوق خالد يقول اسمك.. وعملنا العملية واستأصلنا الورم بنجاح، وقعد خالد فترة النقاهه يحكيلنا عنك وعن رغبته وتمسكه بالحياة عشانك.. حبيناكى من كلامه.. اتمنينا اننا نحضر فرحكم ونشوفك.. كان كل يوم ينزل يتمشى فى حديقة البالونيه ويقعد قدام البحيرة بالساعات وحياته ما بين الفندق والمستشفى، وكان بيتحسن، لكن خالد حالته ساءت فجأة.. دخل فى غيبوبة جديدة.. حاولنا.. حاولت يا ندى – قالها بصوت يخالطه البكاء – مكنش فايدينا حاجة أكتر ماللى عملناه، ومات خالد هنا فى المستشفى دى.

ثم مد الدكتور الكسندر يده داخل درج كبير مغلق ليخرج ظرفا أعطاه لى، فوجدت داخله صورة تجمعنى أنا وخالد.. تأملت الصورة قليلا ،فخرجت

من حلقى شهقة طويلة وآهة مكتومة فى صدرى عذبتنى كثيرا.. ناولنى علبة صغيرة أعرفها جيدا.. فتحتها على مهل.. وجدت خاتم خطبتى يلمع أمام دموعى المتراقصة على جفونى.. شكرت دكتور الكسندر.. تابع كلامه موضحا بأن خالد لم يترك الخاتم ولا الصورة أبدا، كما ذكر لها كيف استقبل رأفت بك خبر وفاة ولده فأصيب بنوبة قلبية مات على إثرها فى الحال، أما عايدة هانم فدخلت المشفى منذ علمها بمرض خالد وعندما أخبروها بوفاته تعرضت لصدمة كبيرة أفقدتها عقلها، وأصيبت بعدها بالزهايمر لتكمل حياتها فى دار للمسنين هناك فى مصر.

ابتسمت له وشكرته على رفقه بخالد فى أيامه الأخيرة، لكنه لم يتركنى أذهب وأصرّ أن أقبل دعوته لزيارة زوجته كريستين مؤكدا مدى فرحتها وسعادتها إذا قابلتها، لم أجد أمامى غير قبول دعوته.. كنت منذ قليل فى الشارع لا أجد مكانا ألوذ به وأقفلت كل الأبواب فى وجههى.. فلا مانع الآن إطلاقا من الذهاب إلى المنزل الذى ضمت جدرانه خالد يوما من الأيام..

* * *

كنت أدرك أن الكسندر ثريا، عمله كجراح كبير فى أكبر مستشفيات باريس يجعل منه رجلا ثريا.. ملابسه الأنيقة.. لهجته ،وأسلوب كلامه.. لكن لم أكن أتخيل أنه يمتلك سيارة فاخرة كهذه ولا أن يكون لديه سائق بهذه الأناقة والرسمية.كانت أراقب الشوارع التى أخذت السيارة تطويها، رأيت الحدائق الكبيرة أمام كل البيوت .. أشجار كثيفة عالية وأزهار ملونة جميلة لاحت أمام ناظرى ،حتى وصلنا.. المنزل كبير ويكاد يكون قصرا وحوله

حديقة كبيرة رائعة، وتابعنا السير حتى وصلنا إلى بهو البيت.. كان أثاثه من الخشب الفرنسى القديم حتى أرضيته، وكل حوائطه وأقمشته من اللون الأبيض ،وواجهة الحديقة كلها من الزجاج، كما يوجد حمام سباحة رائع تظلله بعض الشجيرات الصغيرة.. وفى ركن من أركان الصالة الواسعة توجد طاولة مستديرة عليها إطارات فضية رأيت بداخلها صورا لخالد مع ألفونس..

التفت ورائى على صوت ترحيب رقيق لسيدة أنيقة ترتدى بنطلونا حريريا من اللون الأسود، وعليه قميص من لون أصفر داكن، اقتربت منها وصافحتها قائلة :

بيتكم حلو أوى، وريحة خالد موجودة فيه.. الله يرحمه.

دنا دكتور الكسندر من زوجته، وأمسك بكتفيها ليخبرها عن ندى وكيف قابلها اليوم فى المشفى ،وكيف حكى لهاعن ابنهما ألفونس وموته الغادر..

ترقرقت فى عيون كريستين التى تبلغ الثانية والأربعين عاما دمعة متلألأة انسابت على خديها الناعمين فى رقة بالغة.. تركهما الكسندر معا، فحكت كريستين عن معرفتها بخالد وحبها له وعن قصة مرضه وحكايته لهم عن ساندريلا كما كان يدعونى، ثم روت لى قصة موت ابنها فى الحادث الإرهابى وكيف كان ألفونس مثل خالد فى تربيته العالية وأخلاقه الرفيعة ،وكيف كان خالد بارا بهما بعد وفاة صديقه.. لم أجد أمامى غير أن أرمى بهمومى وأحزانى بعيدا عن كاهلى قليلا ، وحكيت لها عن حياتى وقصتى مع

خالد وزواجى من صلاح وما تلا ذلك من أحداث، وعثوري على دفتر خالد فى الحديقة، ومرضى، وتخيلاتي له التى جعلت صلاح يشك فى ويفترى علي فى حديثه الهاتفى مع والدى فتسبب فى موته.

أصغت إلي كريستين جيدا وبعد أن انتهيت دعتني إلى الجلوس فى الحديقة، وغابت عني قليلا لتأتى برفقة زوجها.. جلسا بجانبي، وطلب الدكتور الكسندر أن أمكث معهما فى منزلهما الكبير، حاولت أن أعتذر منهما فى البداية لكن لم تسنح لدى أى فكرة عما سأواجه من مصاعب إذا واصلت حياتى فى فندق بسيط.. ليس لدى أدنى فكرة عن الحياة فى هذه المنطقة الجديدة من باريس.. فوافقت على عرضهما ووعدتهما بأن أعمل وأكسب النقود حتى أستأجر شقة صغيرة فى مكان مناسب أكمل فيها حياتى، إلا أن القدر كان له كلمة أخرى..

* * *

بعد ليلتين هانئتين قضيتهما فى منزل الدكتوررانفييه وزوجته الحنونة، فقدت وعيى أثناء ممارسة الرياضة فى الصباح الباكر.. اكتشفت أننى حامل بطفل صلاح الذى يبلغ سبعة أسابيع، تملكنى الحزن وانطفأت كل شموع أحلامى.. كنت قد تجاوزت حياتى السابقة ونسيت صلاح وما يربطنى به سوى عقد محكمة أخبرنى الكسندر أن أمره هين، وسأطلق منه بعد جلسة واحدة، وأبدأ حياة جديدة وأصوغ لنفسى عالما آخر ودنيا مختلفة عن التى عشت فيها سابقا.. لكن هذا النبض داخل أحشائى يذكرنى بالماضى ويسرق لحظاتى الحلوة.. اسودت الحياة فى وجهى، أصبح واضحا أمامى

أن الحزن والوجع وحدهما قدرى ،و لولا مواساة كريستين ووقوفها بجانبى لكنت انخنقت من كثرة البكاء، وصعدت روحى فى شهقة محمومة.

اتصلت بأمل أقص لها ما حدث معى ووجودى فى بيت عائلة رانفييه وطفلى الصغير بداخلى لتخبرنى هى بقصتى ودخولى المشفى لشهرين وسفر خالد المفاجئ دون وداع ليجرى عملية جراحية خطيره لكنه توفى إثرها، ورفض عقلى تصديق وفاة خالد وحزن الجميع علىّ، وأخبرتنى أمل أن أبى لم يمت بسبب تصديقه لكلام صلاح الوقح وافترائه علي، فقد أدرك من كلامه أنني عدت لمرضي وأني لن اشفي من حب خالد ، فتملكه الحزن علي كما أكدت لها أمى ،وأخبرتنى أيضا بأن حسن ومنال ولديها قد اشتاقا لها كثيرا ،ودعتها إلى الرجوع إلى وطنها مصر.. هى الآن فى أمس الحاجة إلى حضن والدتها نهلة كما ان نهلة تحتاجها.. أغلقت الهاتف مع أمل بعد ان وعدتها أن أفكر فى كلامها وأنه فور طلاقى من المدعو صلاح سآتى إلى القاهرة لأعيش بجانبهم..

وفى المساء أخبرتنى كريستين أنها الذكرى السنوية لوفاة ولدها ألفونس وأنهم يذهبون إلى الكنيسة ،ويحضر كل أقاربهم ومعارفهم وأصدقائهم ويجلسون يتذكرونه ويدعون له بالرحمة.. وعرفت منها أيضا أن خالد كان يحضر هذا اليوم من كل عام معهم، فقررت الذهاب معهم.. وهناك وجدت الجميع مرتدين ملابس أنيقة وعلى صدورهم علقت صورة صغيرة لألفونس.. وبالتتابع بدأ أقربائه وأصدقائه فى التحدث عن ألفونس وعن معرفتهم به والمواقف التى ربطته بهم.. وانتهى الجميع وحان دورى..

وتعلقت بى عيون الحاضرين فلم أجد ما أستطيع قوله، فالتقطت الكمان واستأذنت من كريستين لأعزف عليهم لحنا عكفت على تأليفه منذ عدة شهور.. لبرهة ظننت أننى أحلق فى سماء الدنيا وأحسست بجناحى يضربان الهواء فى فرحة ونشوة.. مضت فترة طويلة على آخر مرة أمسكت فيها الكمان.. فأنا غجرية أموت إذا لم أعزف..

جاء اللحن رقراقا عذبا.. جعل دموع كريستينا والكسندر تنهمر بغزارة وهم يصفقون لها، وصفق لها الجميع.. وبعد نهاية اليوم أخبرتنى كريستين بأنها قررت أن تسجل لحنى وتطبعه على اسطوانات وتنشرها فى باريس وفرنسا، بل فى العالم كله، وفاجأنى دكتور الكسندر بأنه بالفعل اتفق مع موسيقار كبير ليساعدها ويعطيها بعض التعليمات والنصائح..

حقا إنه الحب.. وحده يستطيع المنح والعطاء دون مقابل..

* * *

استيقظ الأستاذ عبدالقادر وزوجته عائشة من نومهم ليجدوا رائحة كريهة نتنة تنبعث من شقة صلاح بالدور الأخير فصعدا إلى الأعلى، ودقا جرس الباب مرارا، ولم يرد عليهم أحد.. تعود الجميع على غيابه، ومنذ متى وأحد يسأل على صلاح ذى الوجه الأغبر ويزوره !! إن جميع سكان الحى يمقتونه خاصة بعدما فهموا ما فعله مع زوجته ووالدها فى مصر، قاموا بمقاطعته ولم يقترب أحد من مطعمه حتى أفلس تماما.. وأصبح يعمل كسائق تاكسى مأجور.. إنهم لا يدركون وجوده ولا يرغبون به بينهم، ومما زاد غيظهم هو

اصطحابه لصديقات إلى مسكنه ليلا وسط حنق وغضب الجيران بالاضافة إلى شربه الخمر وصياحه العالى على درجات السلم.

تجمع سكان الحى حول البيت وصعد العم البرتين مع الحاج فياض وقام أنور بكسر قفل الباب، فقابلتهم رائحة كريهة جدا أصابت بعضهم بالغثيان ،ودخلوا الشقة فتفاجأوا بجثة صلاح قد فارق الحياة منذ أكثر من يومين ولم يشعر به أحد.

هذه نهاية كل ظالم وكاذب ولئيم.. قالها دكتور الكسندر بعدما حكت له ندى ما أخبرها به المحامى عن موت صلاح مخنوقا بالغاز بعد أن نسى الغاز مفتوحا ليخنقه، ولم يدر به الناس حتى جيرانه، كما أخبرته عن مفاجاة المحامى لها بالمبلغ الكبير الذى كان يضعه صلاح فى البنك باسمه.. كان بخيلا مقززا ،ومات الميتة التى استحقها.. وانتقل الميراث كله لندى وابنها ،وذهب جزء منه إلى ابنته وأمه التى علمت بوفاتها.. حزنت ندى علي المرأة العجوز برغم أنها لم تقابلها أبدا، واكتفى صلاح بأن يريها صورة قديمة لها مع ابنته الصغيرة.. ترى ما حال هذه الطفلة ؟ صاح بها صوت كريستين أن تكف عن التفكير فى غيرها ،وأن تنتبه لطفلها ولنفسها وأن تركز فى مستقبلها ونجاح لحنها وانتشاره.

* * *

بعد مرور عام.. .

بأصابعها الجميلة الرشيقة عزفت ندى على أوتار الكمان لحنا شرقيا

كلاسيكا هادئا.. سمّته (أنين الوتر) الذى ذاع صداه أرجاء العالم كله، وبيعت آلاف النسخ من أسطوانتها ،وزادت أعداد متابعيها ومعجبيها على صفحات التواصل الاجتماعى، واليوم طالعت صفحات الجريدة الصباحية اليومية فى فرحة بالغة، وهى لا تصدق أنهم كتبوا هذه المقالة الرائعة عنها وعن لحنها وعزفها.. ندى النعمانى.. تصدرت عناوين أبرز الصحف الفرنسية والعالمية.. حضر حفلتها الرئيسية فى دار الاوبرا الفرنسية كبار الموسيقيين والعازفين والنقاد والصحفيين من كل بقاع العالم ليشهدوا عظمة عزفها.. وفى قصر غارنييه اعتلت ندى خشبة المسرح الضخم وقدماها ترتجفان بعد أن تركت طفلها الصغير (خالد) ذو الأربع شهورمع أمها نهلة التى حضرت إلى باريس لتحضر حفلها.. ندى حققت حلمها والآن تبدأ فى عزفها فتنصت لها أفئدة الحاضرين.. أخذت ترسل نغماتها عبر الهواء.. فتنساب روحها خلالها، وترقص على وتر الكمنجة الحزين بين جمهورها المنبهر بعذوبة لحنها.

ومن بينهم.. تراه وحده.. تلمحه هناك فى ذلك الركن البعيد.. أنيقا وسيما مبتسما كعادته ينظر إليها بعينية الواثقتين العميقتين..

خالد..

ما زلت فى أعماقى تضحك خضرة عينيك من كآبتى.. لم تمت، ما زلت خالدا فى قلبى وروحى يا خالد.. يا من زرت معه مدن الحنين فى عينيه.. وقطفت زهر شبابى فى أحضانه الخضراء.. يا من تعلمت الحب منه وله.. أحبك.. أحبك..

تنساب روحها فى نغمات عزفها بين الحاضرين.. ترقص على وتر الكمنجة الحزين.. تدور فى دوامات متداخلة بين ذراعيه.. ينتقلان بين عوالم بعيدة، وشطآن بلاد مسحورة.. يصعدان جبالا وهضابا وسهولا ممتدة.. يغرقان معا فى بحار ومحيطات سحيقة المجهول.. يطيران فوق السحاب، ويحاكيان الشمس والقمر، ويشهدان النجوم على حبهما.. ويظلان يرقصان حتى ينتهى العزف وسط تصفيق حاد من الحاضرين.. تتعانق عيناهما وتترسم على شفتيهما ابتسامة حزينة قبل أن يغيب هو وسط حشود الحفل، بينما تقف هى تستلم جائزته، وأمها وابنها الصغير وأصدقائها ومعجبيها ينظرون إليها فى انبهار، وهى ذاهلة عن كل ما يدور حولها.

* * *

obeikan.com

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com